

سوريا



محتويات العدد

إلى السادة الكتاب

• يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في "الوعي" دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.

• لا تقبل "الوعي" إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.

• لـ "الوعي" حق تصحيح المواضيع المرسلّة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.

• نرجو ترقيم جميع الآيات القرآنية ووضع خط تحتها وتحت الأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخرجها.

للمراسلات subjects@al-waie.org

كلمة الوعي صفحة ٣



مآزق أميركا في المنطقة

جامعية - فكرية - ثقافية

الوعي

al-waie.org

السنة الثامنة والعشرون العدد ٣٢١ - ٣٢٢
شوال - ذو القعدة ١٤٣٤ هـ، آب - أيلول ٢٠١٣ م

صفحة

رحلة في عاصمة السراب الفلسطيني

١٢

الجمعيات النسوية في فلسطين

١٦

مشكلة الاحتباس الحراري نتيجة طبيعية للنظام الرأسمالي ونظرة الإسلام لها

٢٢

دولة الخلافة وما يسمى بالأقليات (٤): التشريع الإسلامي وأهل الذمة

٣٠

الأمة بين تجار الدين والمخلصين

٣٥

التجارة الرابعة مع الله

٣٩

لقد أمر أمرُ دعاة الخلافة أمراً عظيماً.

٤٤

أخبار المسلمين في العالم

٥٠

مع القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَعَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ ءِالْزُّسُلَى﴾

٥٧

رياض الجنة

٦٠

فبهذا هم اقتده: أسيد بن حضير

٦١

حدائق ذات بهجة

٦٥

كلمة أخيرة: تونس: ديمقراطية الفوضى والدماء

٦٧

معالم هيمنة واشنطن على جيش مصر

٦٨

مجلة الوعي تصدر كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم "١٦٦" صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

ثمن النسخة	لبنان: ٢٠٠٠ ل	اليمن: ٦٠ ريال	تركيا: ١,٥ \$ أمريكي	باكستان: ١,٥ \$ أمريكي
	أمريكا: ٥ \$	كندا: ٥ \$	ألمانيا: ٢ يورو	السويد: ٣٠ كرون
	بريطانيا: ٢ £	سويسرا: ٤ فرنك	النمسا: ٢ يورو	الدانمرك: ٣٠ كرون

بسم الله الرحمن الرحيم

مآزق أميركا في المنطقة في ظل فشل استراتيجية التفرد [مصر وسوريا نموذجا]

استراتيجية التفرد

أصابت أميركا نوبة من جنون العظمة بعد ما حققت من تقدم كبير في المجالات العلمية المختلفة، سيما في مجال المواصلات والاتصالات والقوة العسكرية الضاربة التي حازت فيها قصب السبق على كافة الأمم الأخرى. كما أغراها انهيار حلف وارسو وتفكك الاتحاد السوفياتي وخلو العالم من منافس لها باعتماد استراتيجية دولية تعيد صياغة النظام الدولي من جديد بما يجعلها صاحبة القرار الأوحد في هذا العالم، ففرضت العالم كله كساحة حرب محتملة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م بذريعة الحملة العالمية للقضاء على الإرهاب.

عولت الاستراتيجية الأميركية الجديدة التي مثلها مجموعة من مفكري أميركا ومحاربيها القدامى ومتقفيها باسم المحافظين الجدد على القوة المفرطة والمباشرة لفرض الرعب في العالم بغية الهيمنة وتوسيع النفوذ والحسم السريع. وقسمت العالم إلى فريقين: معها (خاضع لها) أو ضدها (ينبغي القضاء عليه).

لذلك قامت إدارة المحافظين الجدد بنشر مزيد من القواعد العسكرية في الخليج العربي ووسط آسيا والقرن الأفريقي، وحوّلت العالم الإسلامي إلى مسرح ساخن للعمليات العسكرية، فبطشت بالمسلمين بهمجية قل نظيرها، فيما اضطرت الدول الكبرى فضلاً عن الأقل شأنًا إلى مداراتها وتجنب الاصطدام المباشر معها، إذ أدركت تلك الدول شراسة أميركا في ظل استراتيجية البطش والقهر والتفرد الجديدة، وبالتالي استعدادها لسحق كل من يواجهها، لذلك ناورتها فأظهرت تعاطفها معها وقدمت نفسها كحليف لها في "الحرب ضد الإرهاب" في محاولة لامتصاص هجمتها الشرسة.

إلا أن تلك الدول لم تأل جهداً في الوقت ذاته في عرقلة المشروع الأميركي، إذ إن نجاحه كان يعني بالضرورة تحوّلهم إلى دول غير ذات أثر في السياسة الدولية، وبالتالي سيتلاشى نفوذهم وتتضرر مصالحهم بشكل مباشر.

موقف أوروبا

مارست أميركا قتل المسلمين وقهرهم وتعذيبهم بشكل منهجي مستفز وصلف، غير مبالية بأية قيمة سوى تحقيق غايتها الأساسية من وراء شن حروب تدميرية

قدرة، فزرعت الرعب والخوف في العالم في سبيل فرض نظام دولي جديد والتفرد بالقرار فيه، وبالتالي تسخير مقدرات العالم وإمكانياته لمصلحتها. لهذا تكالبت الدول على مواجهتها بطريقة أو أخرى، بمن فيها تلك التي مثلت دور الحليف لها، مما تسبب بفشل أميركا بشكل ذريع، واستنزف مقدراتها وبدد أحلامها بالتفرد المطلق. وبالتالي لم تعد أميركا قادرة على فرض وصايتها على العالم فضلاً عن كونها ليست هي من يقرر مصيره وحدها.

لقد قامت الدول الكبرى المناوئة لأميركا بالعمل على عدة مستويات في آن معاً فيما يشبه تقسيم أدوار فيما بينها، فشنت فرنسا على أميركا اختراقها للقانون الدولي واحتلالها العراق من غير مسوغ قانوني، وصعدت الأمر إلى درجة كبيرة مع أميركا، مما أظهر همجية الأخيرة وعدم مبالاتها بأي قانون.

كما قامت بريطانيا بتسخير شبكتها الإعلامية الدولية بشكل فعال في رصد سياسات أميركا وممارساتها البشعة وجرائمها في العالم ووضعها تحت المجهر، من باغرام في أفغانستان وصولاً إلى غوانتانامو في كوبا مروراً بأبو غريب في العراق، إضافة إلى السجون السرية واختطاف المسلمين المسلمين، مما كشف الغطاء الأخلاقي عن أميركا وأظهرها كدولة مارقة بلا قيم.

إضافة لما سبق، فقد سخرت هذه الدول عملاءها لاستنزاف الجيش الأميركي، لا سيما في العراق، حيث لعبت دول الخليج بخاصة السعودية وقطر دور الممول، فيما لعب الأردن دور الموجه الأمني والسياسي لكثير من القوى السياسية والعسكرية، كما دخلت روسيا في صراع محتدم مع أميركا على النفوذ في آسيا الوسطى، مما أرهق أميركا وأضر بمشروعها بشكل ملموس.

فشل الاستراتيجية

كانت تكلفة "الحرب العالمية على الإرهاب" باهظة جداً على أميركا، مالياً وعسكرياً ونفسياً وأخلاقياً. ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط، إذ أدى فشل مشروعها إلى تداعيات لا يستهان بها، فتداعيات الفشل ترتبط بحجم المشروع. لذلك لم تعد أميركا ما قبل الحرب المزعومة على الإرهاب هي نفسها بعدها، فقد انكشفت أمام العالم وفقدت هيبتها واحترامها. ولم تعد الدول المناوئة والمنافسة بل والحليفة تتصاع لها أو تهابها على النحو الذي سبق.

هكذا تحولت الفرصة التي تصوّرها المحافظون الجدد سانحة جداً لاغتنام العالم إلى كابوس مزعج ثقيل الوطأة على الولايات المتحدة، اضطرها إلى التحول

من الهجوم الاستعلائي الكاسح إلى موقف المدافع المستमित عن مصالحها أمام مؤامرات وتحركات الدول الكبرى المناوئة لها بخاصة الدول الأوروبية بقيادة بريطانيا وفرنسا، التي تعمل جاهدة وبشكل دؤوب في محاولة لاستعادة نفوذها وتفعيل دورها في السياسة الدولية.

الموقف في سوريا

حصّن النظام السوري نفسه بشكل كاف يحول دون إمكانية حصول أي تغيير داخلي ضده، بعد تصفية منهجية على مدار عقود لكافة القوى التي يحتمل أن تحمل تهديداً له، فارضاً هيمنة أمنية مطبقة ومطلقة على الدولة والمجتمع. كذلك كان محصناً من حصول أي تغيير يأتي من الخارج لوقوفه تحت المظلة الأميركية، الدولة الأولى في العالم، وتفانيه في خدمتها، وإدراكه مدى أهمية دوره بالنسبة لها، فهو بمثابة واسطة العقد في معادلة أميركا في الشرق الأوسط، ضمن حلف الممانعة الكاذبة، الممتد من طهران إلى لبنان مروراً بالعراق. لهذا كان نظام الأسد يشعر بثقة فائقة في قدرته على الثبات في وجه أي عاصفة تهب عليه، وكان جاهزاً للبطش بوحشية، مستعداً لبتتر أي تحرك منذ اللحظات الأولى.

التصعيد الأوروبي: في ظل هذا الوضع، لم يكن سهلاً على الدول الأوروبية المناوئة لأميركا أن تشعل ثورة تطيح بالنظام، فهي تدرك الواقع المقفل تماماً بوجه التغيير، سيما أنها حاولت مراراً وفشلت في كل مرة، على نحو ما جرى إبان الصراع بين الإخوان والنظام في الثمانينات، كذلك عقب اغتيال رئيس وزراء لبنان رفيق الحريري. لذلك تطلّب التعامل مع الحراك السلمي الذي انطلق في درعا للمطالبة بالاقتصاص من المحافظ الذي نكّل بالأطفال كثيراً من الحنكة والخبرة والصبر ليقفز سقف المطالب بشكل سريع من طلب القصاص إلى الإصلاح الشامل وصولاً إلى إسقاط النظام.

دور الإعلام: لعبت شبكات الإعلام الأوروبية وتوابعها في العالم العربي دوراً فاعلاً في تأجيج الثورة، وقد نجحت نجاحاً منقطع النظير بخاصة أن أهل سوريا مهوون لذلك نتيجة لظلم النظام لهم وفقدانهم لأبسط الحقوق وشعورهم بفقدان الكرامة، فقد كان دور تلك الشبكات الإعلامية موجهاً ومحرزاً بشكل واضح للمحافظة على اشتعال الثورة، وكان ضيوف هذه الشبكات من أصحاب الرأي والفكر والثقافة والعلم والتحليل يجدّون في إيجاد الأجواء التي تمنح الناس الأمل بسقوط النظام سريعاً، مما حفز الناس لمتابعة حراكهم بزخم، كما حال

دون انطفاء الثورة التي تعرضت لأكثر من نكسة ونكبة، بل ازدادت مع مرور الوقت تنظيماً واشتعالاً واتساعاً. وهكذا بعد أن كان كثيرون يعتبرون أن مجرد الاحتكاك بالنظام ضرب من الجنون وأن إسقاطه مستحيل وخبل وخيال، بات هؤلاء يتوقعون انهياره خلال شهور قليلة، فانتسعت رقعة الثورة، وازدادت الانشقاقات في الجيش، وانتقل إسقاط النظام من خانة المستحيل إلى خانة الممكن ومنها إلى خانة المؤكّد حتماً، فيما تحول النظام وأعدائه وحلفاؤه وأميركا من ورائهم إلى موقف المدافع المستميت للحيلولة دون انهياره قبل ترتيب بديل مناسب يضمن نفوذ أميركا.

التمويل والتسليح: تحرك عملاء بريطانيا في المنطقة بدهاء، تمويلاً وتسليحاً وإعلاماً وسياسة لضعضة نظام الأسد ولإرباك مخططات أميركا في معالجة الأزمة. إلى درجة أقر معها وفد أميركي زار سوريا لبحث الأوضاع في المناطق الخاضعة للشوار، بأن فشل التسوية التي تحاول أميركا تمريرها يرجع بشكل جوهري لكثرة الكتائب وتنوع مصادر دعمها وتمويلها، والذي يأتي بشكل أساسي من قطر والسعودية.

هكذا احتدمت العلاقة بين جناحي الصراع الأقليميين في المنطقة (جناح تقوده السعودية وقطر وآخر تقوده إيران) فأخذوا يتناوبان علانية وبدأ كل منهما يفضح دور الآخر على الملأ. وقد أشار الأسد في هذا السياق إلى دور بريطانيا في عسكرة الثورة ضده، كما كرر أن حل الأزمة يبدأ من السعودية وقطر، باعتبارهما أدوات القوى الدولية في تمويل وتسليح وتأجيج الثورة عليه.

الموقف الأميركي: لمست أميركا عزم خصومها على إسقاط الأسد بالقوة، فتصدت لهم مبكراً معلنة عدم السماح بتكرار السيناريو الليبي في سوريا، وأن الحل الوحيد المسموح به في سوريا يجب أن يمر عبر عملية تسوية مع النظام في إطار مؤتمر جنيف ١ و ٢. لذلك منعت التدخل العسكري الدولي، وفرضت حظراً على إمداد الثوار بالسلح النوعي، فيما غضت الطرف عن كل القوى التي تعين نظام الأسد على الصمود في وجه عاصفة الثورة كإيران وحزب الله اللبناني إلى حين تمكّنها من للممة أوراقتها وترتيب وضع يؤمن لها استمرار نفوذها. ما يعني أن أميركا اضطرت تحت وطأة الهجمة واشتعال الثورة إلى الكشف عن واقع ارتباط إيران وحزبها في لبنان بشكل واضح بها، وذلك إدراكاً لصعوبة الموقف، وحاجتها للدفع بكل أوراقتها كي تنقذ نفوذها المهدد.

كما ألمحت أميركا مراراً إلى استعدادها للتدخل العسكري للتصدي لما تسميه

الإرهاب الذي تصم به عدداً من الكتائب المقاتلة ضد النظام، أي أن استعداداتها العسكرية تنصبّ ضد من يمكن أن يقوّض نظام الأسد لا من يريد أن يجتثّه.

بهذا صار الوضع في سوريا مفتوحاً على احتمالات عدة ومنها خسارة أميركا لنفوذها هناك كلياً أو جزئياً، وباتت التركيبة الدولية التي شكلتها أميركا عبر عقود من الزمن لحماية مصالحها في المنطقة تعاني من خلل أساسي في المفصل السوري، مما يهدد المعادلة ككل، وبالتالي يفسر احتدام الصراع وطوله والتكاليف الباهظة الناتجة عنه، التي يدفع المسلمون كلفتها من دمائهم وأرزاقهم.

الموقف في مصر

ليس الحال في مصر بالنسبة لأميركا بأفضل منه مما هو عليه في سوريا. ورغم أن أغلب أطراف الصراع الدولية والإقليمية متشابهة، لكنّ أطرّ الصراع وأشكاله أكثر تعقيداً بسبب وجود قوى سياسية متعددة ومتجذرة في المجتمع المصري إلى جانب القوة الأساسية المتمثلة بالجيش، الذي يعد الركيزة الأساسية للدولة، والمهيمن عليها. فيما تستمد غالب القوى المتواجدة في السلطة والمجتمع نفوذها منه (كالقضاة والوزراء ورجال الأعمال).

كما يمنح الاقتصاد المغلق (الذي يبلغ ٤٠% من اقتصاد الدولة بحسب بعض الأبحاث) الجيش استقلالية تامة. ولا يجرؤ أحد فضلاً عن أنه لا يحق لأحد مساءلة الجيش حول ميزانياته. وقد أقر الدستور الجديد في عهد الرئيس محمد مرسي هذه المكتسبات للجيش مما حوّلته بحكم القانون إلى قلعة حصينة، لديها ما يشبه الحكم الذاتي.

لذلك كله كان الجيش العامل الحاسم في استقرار أي نظام سياسي في مصر؛ ولهذا اتخذته واشنطن الركيزة الأساسية لحفظ نفوذها، وذلك بعد أن عملت على اختراقه مبكراً، حين كانت تعد لانقلاب الضباط الأحرار عام ١٩٥٢م على الملك فاروق. كما نجحت بإحكام قبضتها على الجيش منذ اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٨م، بعد أن ربطته بها تمويلاً وتسليحاً وتدريباً، مما مكنها من إعادة تشكيله وإدخال تغييرات جوهرية على هويته وبنيته وعقيدته، حيث عزلت واشنطن مصر عن الصراع «العربي الإسرائيلي» وأسقطت (إسرائيل) من قائمة الأعداء، واستبدلتها بعداء مفرط لتيار الإسلام السياسي بذريعة محاربة التطرف والإرهاب. وصارت مهمة الجيش منذئذ تتحصر في إبقاء مصر تابعة لأميركا، وفي محاربة ما يسمى التطرف والإرهاب، وفي الحفاظ على أمن إسرائيل.

ولأهمية دور الجيش في تحقيق أجندة واشنطن، سارعت الأخيرة بالتضحية بحكم مبارك بعد ١٨ يوماً فقط من المظاهرات الشعبية، لاستيعاب غضبة الجماهير ولإبقاء الجيش متحكماً في المشهد السياسي. كما أنها تقوم بمتابعة شؤون الجيش المصري بشكل منتظم من خلال إدارة المنح العسكرية السنوية الضخمة (١.٣ مليار دولار)، والتي تجعل من شركات الأسلحة والأمن الأميركية قادرة على الاطلاع التام على أوضاعه والتأثير في شؤونه. كذلك تتدب الإدارة الأميركية أهم الشخصيات لديها في وقت الأزمات لضبط شؤون الجيش بحسب مصالحها. وقد عهدت عقب الانقلاب الأخير الذي أطاح بالرئيس الإخواني، محمد مرسي، إلى وزير الدفاع الأميركي تشاك هيغل ليكون قناة الاتصال الرئيسية، وبشكل يومي، مع وزير الدفاع المصري الفريق عبد الفتاح السيسي، الذي يمسك حالياً بزمام الأمور في مصر.

لذلك كله كان لا بد لأي طرف يبتغي ضرب النفوذ الأميركي في مصر من كسب ولاء الجيش أو العمل على تحجيم دوره في الدولة وتحييده عن الحكم، سواء كان حكماً مباشراً على نحو ما كان عليه الحال منذ انقلاب الضباط الأحرار حتى تنحية حسني مبارك، أو غير مباشر على نحو حكم السيسي لمصر تحت واجهة مدنية.

إن إدراك هذا الواقع الحساس لدور الجيش، يلزم كل من يتناول الصراع الدولي في مصر وضع الأحداث الأساسية في إطار الصراع معه أو عليه تحت المجهر.

في هذا السياق نلاحظ أن ما قام به الرئيس محمد مرسي قبل عزله يشير إلى محاولة تقليص دور الجيش المباشر في الحكم، فمثلاً قام بتعيين طاقم جديد من المحافظين، والمحافظ في مصر بمنزلة الحاكم الفعلي للمحافظة، حيث تكون القوى الأمنية والشرطية في خدمته، ولذلك عادة ما يكون المحافظ لواء منتدباً من الجيش، كما قام بتغيير مدير المخابرات، وأحال أعضاء المجلس العسكري باستثناء السيسي إلى التقاعد، وبدأ يستدعي كبار الضباط للقائهم بوصفه كرئيس للجمهورية القائد الأعلى للقوات المسلحة من غير استئذان أو تنسيق مع الفريق السيسي، من ثم اتخذ قراراً لافتاً بقطع العلاقات الدبلوماسية مع النظام السوري، كما قام بعدة إجراءات سيادية أخرى، كإعادة مجلس الشعب الذي تم إبطاله، واستبدال النائب العام بشخصية جديدة مقربة منه.

لقد حوربت الإجراءات التي اتخذها مرسي لأخذ حيز من السلطة بشدة من قبل الأطراف المرتبطة بالمؤسسة العسكرية، كوسائل الإعلام التي نهشت لحمه حياً،

وصنعت بيئة معادية له تحت عنوان لا لأخونة الدولة ولا لدولة المرشد، كما عملت بكد لإبراز مرسى كرئيس أبله. إضافة لهذا قامت المحكمة الدستورية العليا بنقض كل ما غزله مرسى، خطوة خطوة. كما سارعت حكومة الانقلابيين إلى عزل المدعي العام المقرب من مرسى وإلى تعيين محافظين جدد.

في هذه الأجواء دخلت دول الخليج كالسعودية والإمارات على الخط، فأظهرت عداها للإخوان، رغم أنها كانت قد آوتهم واحتضنتهم سابقاً، وظهرت وكأنها على قلب رجل واحد مع عسكر مصر ضد الإخوان، محرضة وداعمة لهم بالمال والإعلام، رغم أن هذه الدول هي صنيعه بريطانيا وتآتمر بأمرها، أي أن سياساتها يجب أن تتسجم مع واقع السياسة البريطانية الساعية إلى تحجيم دور العسكر وعزله عن الحكم في مصر، ما يعني أن مواقف دول الخليج مناوره بريطانية، كونها تبدو عكس ما يفترض أن تكون عليه.

لم يكن يجدي نفعاً وقوف دول الخليج وراء مرسى، فقد أثبت الواقع فشل الإخوان بعد حكم صوري لمدة سنة، وكان واضحاً أن استمرارهم بات عبئاً عليهم أنفسهم وعلى كل من يظهر مؤيداً وداعماً لهم، كما كثرت شكاوى الناس بخاصة مع ما جرى من عبث بأسعار العملة والتضخم وشح في مواد أساسية كالسولار وانقطاع الكهرباء، إضافة إلى ما برز من شحن طائفي وصل الذروة بين المسلمين والأقباط بل حتى بين السنة والشيعة (على قلتهم) في مصر. فضاق الناس بالإخوان ذرعاً وباتت الأجواء موائمة للجيش كي يحسم الوضع لصالحه. من جهة أخرى، فإن الدعم والتأييد الخليجي لعسكر مصر يجعل لهم دالة عليهم، عسى أن يمكنهم ذلك مع الوقت من التأثير فيهم وفي مجريات الأمور بشكل أو آخر. وهكذا فإن غَزَلَ دول الخليج للجيش وتبرعها بمليارات الدولارات لمصر تأييداً لانقلاب السيسي ما هو إلا مناورة خبيثة وخدعة ماكرة، ينطبق عليها قول الشاعر: فَلَمْ أَرْ وَدُهُمُ إِلَّا خِدَاعاً.

عواقب فشل استراتيجية التفرد

إن استكبار أميركا وغرورها أعميا بصيرتها ودفعها إلى استصغار الأمم الأخرى واستضعافها وإلى سوء تقدير قوى خصومها والاستهانة بها. فقد كانت استراتيجية التفرد الأميركي بالقرار الدولي ضرباً من الجنون الذي كتّل دولاً أساسية ضدها كما ألب الرأي العام العالمي عليها. ولعل تصرفها هذا شبيه من وجوه عدة بما فعلته بريطانيا عندما أساءت تقدير الموقف الدولي في ١٩٥٦م حين قادت

الهجوم الثلاثي على مصر لاقتلاع الضباط الأحرار الذين رعتهم أميركا واحتضنتهم ومكنتهم من قلب نظام الملك فاروق المرتبط ببريطانيا.

فقد ظنت بريطانيا حينها أن قواها العسكرية الضخمة الرابضة شرق قناة السويس قادرة على سحق عسكر مصر بسرعة كبيرة من غير عواقب تذكر بغية استئصال النفوذ الأميركي قبل أن يترسخ، مستعينة بفرنسا و(إسرائيل) ومتدركة بتأميم جمال عبد الناصر قناة السويس. إلا أن العدوان الثلاثي الكاسح على نظام الضباط الأحرار سرعان ما انكفأ، وانقلب نصر بريطانيا السريع إلى فشل ذريع، بعد أن أقحمت أميركا الاتحاد السوفياتي ليهدد بإغراق الأسطول البريطاني في البحر الأبيض المتوسط، ما اضطرها إلى وقف الحرب، وبدأت منذئذ بسحب قواتها من مصر والمنطقة، التي صار نفوذها فيها في مهب الريح، فطارت منها مصر وسوريا وإيران والسودان وغيرها لتقع فريسة بيد أميركا. هكذا ارتدّ عدوان بريطانيا العسكري الكاسح على مصر وبالأعلى عليها، ما دفعها إلى أن تسائر أميركا بدلاً من أن تجتث نفوذها، بل واضطرت لأن تظهر كمن يسير في ركابها دهرًا من الزمن خلال الحرب الباردة، قبل أن تلتقط أنفاسها مجدداً عقب خوض أميركا حربها العالمية المجنونة على "الإرهاب"، لتستثمر بريطانيا كبوات أميركا وعثراتها، فتستعيد جزءاً من دورها التاريخي في المنطقة والعالم.

أسئلة محورية

يبقى سؤالان لا بد من طرحهما في سياق بحثنا، السؤال الأول طرحه توماس فريدمان الصحفي اليهودي المتأمر على النحو التالي: هل كلما دخلت الولايات المتحدة في انحراف في مسارها السياسي كدولة، هل لا يزال يصح فيها ما ورد على لسان وينستون تشرشل "إن الأميركيين دائماً ما سيفعلون الشيء الصحيح، بعد أن يكونوا قد استفدوا كل الإمكانيات الأخرى؟" يجيب فريدمان نفسه "لا أعتقد أن ذلك لا يزال صحيحاً بأية صورة". ويؤكد هذا المعنى خبير شؤون الشرق الأوسط في مجلس العلاقات الخارجية الأميركي، ستيفن كوك بقوله "بقدر ما تأمل واشنطن في أن تتمكن من تدبر أمورها من خلال حماية مصر لمصالحها، كما فعلت لفترات طويلة، إلا أن الموقف الأميركي في مصر سوف يتغير، وسيتراجع دورها فيه".

السؤال الثاني والأهم، هل ستبقى الأمة الإسلامية تتنقل عبر انقيادها لحكامها وزعاماتها من حزن مستعمر سفيه إلى آخر لئيم يستنزف طاقاتها ويفتت مجتمعاتها ويسومها سوء العذاب في إطار صراع دولي مريّر على ثرواتها ومقدراتها ومصالحها

وعقيدتها وحضارتها ومستقبلها؟ الجواب: إن الصراع الدائر في منطقتنا يدفع المسلمون فيه ثمناً باهظاً على كل صعيد، لم يعد ممكناً أو مجدياً معه أي نوع من الحلول الترقيعية، ما يدفع الأمة دفعاً للتفكير الجدي بطريقة الخلاص، سيما أن الأحداث الجارية:

- جعلت شعوبنا تدرك (على نحو غير مسبوق) أن المشاكل التي تعيشها هي نتاج الأنظمة السياسية القائمة، وأن لا طائل من أي إنجاز يكون أقل من تغييرها.

- إن السلطة التي تدير مقدرات البلاد وتسيطر عليها هذه الأنظمة هي حق للشعوب، وأنه لا بد من استعادتها لإجراء أي إصلاح حقيقي. وأن تغيير هذه النظم يقتضي منازعتها على السلطة، لا مداهنتها أو التدرج في إصلاحها.

- إن الأمة باتت أكثر جهوزية واستعداداً للتضحية (أكثر من أي وقت مضى) في سبيل التخلص من الطغمة الحاكمة المتحكمة في مقدراتها ومصيرها.

- إنه لا أمل يرجى من الغرب، بل إن دوله عدوة لدودة للأمة، ولا تأبه إلا إلى مصالحها، فقد ظهر لؤم الغرب ودجله وقبح منظره وعظم تأمره مع الأنظمة العميلة لتكبييل الأمة واحتواء تحركها في سبيل الخلاص.

- تم افتضاح أمر المشعوذين الذين حاولوا تدجين الأمة وإرضاخها لحكامها أو دفعها للعزلة باسم الإسلام. كذلك سقط سريعاً وبشكل مريع ما يسمى بالإسلام المعتدل.

كل هذا وغيره صنع بيئة خصبة لإنضاج طريقة التغيير الصحيحة في الأمة، وجعل الطريق مفتوحة أمام حملة الدعوة لضخ أفكارهم في الحراك القائم بشكل مؤثر. لذلك صار لا بد من التركيز على مفهوم التغيير على أساس الإسلام وبطريقته الشرعية والعملية لتحرير الأمة من ربكة الاستعمار بكل أشكاله وألوانه، الذي بات أقرب بكثير مما يتصور كثيرون، بخاصة عندما تتبلور طريقة التغيير الصحيحة. كما أنها يقيناً أقل تكلفة من كافة الطرق الانفعالية والمرجلة التي تعقد الوضع. وعليه فإن الرهان اليوم هو بعد الله تعالى قائم على غرس الوعي الحقيقي في الأمة على دينها وحضارتها وعلى الطريقة الشرعية العملية التي تؤهلها لانتزاع سلطانها من روبيضات الغرب وتشكيل كيائها الخاص بها الذي يمثل وجهة نظرها الخاصة عن الحياة على النحو الذي قام به رسول الله ﷺ في المدينة المنورة حين أقام دولة الإسلام أول مرة. حينها تدخل الأمة في الصراع الدولي كطرف فاعل فيه، مؤثر في معادلته، بدولة تعمل بجهد لتغيير النظام الدولي برمته. وما ذلك على الله بعزيز. □

بسم الله الرحمن الرحيم
«رحلة في عاصمة السراب الفلسطيني»

نشرت جريدة القدس في ٢٦ يونيو ٢٠١٣م مقالاً فأحببنا أن ننشره لفائدته، وهذا نصه: مراسل «لوموند» يصف معالم دولة تحت الاحتلال: رحلة في عاصمة السراب الفلسطيني

ولكن ما يحدث في الواقع، هو قضم المزيد من أراضي الفلسطينيين، وتقويض أي أمل في حل الدولتين، وهو ما يدركه المانحون، من خلال التقارير العلنية أو المسربة، ولكنهم يستمرون في لعبة لا تنتهي. وفي وضع فانتازي، يكتب بارت: «هذا البلد المستحيل والمأساوي والعبثي الرائع الذي يشبه بأجوائه روايات فرانز كافكا، ولويس كارول، اسمه فلسطين، أو بالأحرى الضفة الغربية»، ويضيف: «رام الله أقل مجوناً من تل أبيب وأقل بهرجة من بيروت، لكنها أكثر إثارة للدهشة من الاثنتين، وهي الآن الفقاعة الجديدة في الشرق الأدنى» "عاصمة السراب الفلسطيني" كما يسميها المؤلف، التي تتعرض لاحتحامات الاحتلال الليلية، ومحاصرة بالمستوطنات والحواجز، لا تكف عن محاولة الظهور بمظهر الحياة الطبيعية: «منذ عام ٢٠٠٧م، تفتتح حانة جديدة أو مطعم عصري كل ثلاثة أو أربعة أشهر»، ومن هذه المطاعم من يحاكي الأناقة الباريسية، أو السحر اللاتيني.

يقدم الصحافي بانجمين بارت صورة مفصلة ودقيقة ومثيرة وصادمة للأوضاع في الأراضي الفلسطينية المحتلة، من خلال عمل ميداني، ومقابلات، وأرقام. تضمنها كتابه «حلم رام الله: رحلة في قلب السراب الفلسطيني» الصادر بترجمته العربية عن «غروس برس ناشرون، ٢٠١٣».

ويلقي تقرير نشر في صحيفة «الشرق الأوسط» الضوء على الفترة التي عمل بارت فيها مراسلاً لصحيفة «لوموند» الفرنسية في رام الله ما بين عامي ٢٠٠٢م و٢٠١١م، وتحدث فيها عن طبقات استحدثت وخطط لسلام اقتصادي لإطالة أمد الاحتلال وتحسين صورته.

يدرك المؤلف استحالة بناء اقتصاد في ظل احتلال، وكذلك سلطة ومؤسسات، ولكن هذا قد لا يكون وجهة نظر دول وطبقات وفئات تستفيد من الوضع الجديد، ومن أموال المانحين السياسية التي تتدفق تحت عنوان عام، لدعم مسيرة السلام، وتسريع حل الدولتين،

إنها الزبد التي تحاول إخفاء ما يدور في المدينة، التي يوجد فيها عدة مخيمات للاجئين، والتي يزيد فيها الفقراء فقراً، في حين تتكون فيها طبقات سريعة الثراء بقرارات فوقية، ترى بوجود مثل هذه الطبقات ضرورة لسلام من نوع خاص، والمقصود في الواقع سلام الاحتلال، وجعله احتلالاً مقبولاً ورخيصاً بل مربحاً، فكل تدفق لأموال مانحة، هناك طرق كثيرة ليذهب جزء منها إلى خزنة آخر احتلال، الذي يحظى بالتدليل.

ينقل المؤلف عن دبلوماسي فرنسي قوله إن وكالات التنمية الدولية لا تتكلم: «سوى عن تقوية المجتمع المدني، لكنها غالباً ما تفعل عكس ذلك؛ فهي تقوّض قدرته على اتخاذ المبادرة، وتحول المناضلين إلى مقاولين من الباطن، أي إلى زبائن»، ويشدد هذا الدبلوماسي: «المساعدة الدولية في الأراضي المحتلة هي آلة ضخمة لنزع الصفة السياسية عن حركة التحرير الوطنية الفلسطينية».

لقد أصبحت رام الله دون أن تدري أو تعترف، مركزاً مالياً وسياسياً ومكاناً معزولاً للشخصيات الفاعلة، وعاصمة لدولة مفقودة. ينقل المؤلف عن ناصر أبو رحمة: «منطقة رمادية، غير محتلة مباشرة، وليست حرة فعلياً، وهي محاصرة ولكنها تعج بالحياة». أما يزيد عناني فيقول: «تتحول المساحة العامة إلى مساحة تجارية. وتنتشر أشكال التنظيم

المدني الليبرالي الجديد في كل مكان. انبثق عن هذا التحول وهم التعايش بين كل من الحرية والازدهار والاحتلال. إنه لك (هبل) كامل. لن تكسب رام الله شيئاً، إذا أرادت أن تقلد دبي أو عمان» يظهر التناقض ما يرصده المؤلف بذكاء، في حفل خطبة ابنة القائد الفلسطيني الأسير مروان البرغوثي في فندق «موفنيك»، الذي حضره كبار السياسيين، متسائلاً: إذا كان هؤلاء لاحظوا مستوطنة بساغوت اليهودية التي تطل على المكان من جبل الطويل: «هل وصلت أصوات موسيقى الحفلة وأصوات أبواق السيارات المتنافرة إلى آذان سكانها؟ لديهم منظر لا يحجب عن (موفنيك) من نوافذ صالوناتهم. بساغوت هي حارس وسور في الوقت نفسه، وإحدى حلقات النظام الذي يمسك بفلسطين بين فكي كماشة»

دبلوماسي فرنسي يتردد على المقاطعة، مقرر رئيس السلطة محمود عباس، كثير السفر خارج الوطن، يخبر المؤلف بأن عباس يشبه قائمقاماً أكثر منه رئيساً، وأن السلطة الحقيقية في الضفة الغربية هي إدارة الاحتلال في مستوطنة بيت إيل، على مسافة قريبة من المقاطعة. ويرى المؤلف أن أي حديث عن تغيير، يصطدم بطبقة المديرين العامين الذين تم توظيفهم بفضل علاقاتهم داخل حركة «فتح»: «حتى لو جلبنا إلى فلسطين الوزراء الـ ٢٥ الأكثر كفاءة في العالم،

وحتى لو تم استيراد مائة مدير محترف، لن يكونوا قادرين على بناء مؤسسات. رؤية الدولة لا توجد إلا على الورق. لا يمكن أن تتحقق“.

ينقل المؤلف عن خير أجابي: «بناء الدولة في فلسطين تجربة وهمية أو افتراضية. مهما كان الجهد الذي تبذله، يهدده الواقع بمناقضته في كل لحظة“.

وهذا نقد مباشر لمسعى رئيس الوزراء السابق الدكتور سلام فياض، الذي قدم نفسه خلال السنوات الماضية بصفته صاحب مشروع «بناء الدولة»، بل حدد لإعلان مثل هذه الدعوة عدة تواريخ. القانوني كميل منصور يقول بوضوح: «كل هذا خدعة؛ فياض ليس مغفلاً. ما يحاول فعله هو إبقاء النظام على قيد الحياة، وكسب الوقت حتى الانفجار المقبل». وحقيقة مشروع فياض، كما يعتقد المؤلف: «محاولة لتحديث البيروقراطية الفلسطينية، لم تتجزأ“.

يرى المؤلف أن ممولي فلسطين، انحازوا إلى «فتح»، مثلاً: من أصل ١,٢ مليار دولار دفعت في عام ٢٠٠٦م، مرَّ ٧٠٠ مليون منها بمكتب الرئيس محمود عباس.

المساعدات الدولية أيضاً، كما يقرر المؤلف، هي صفقات تجارية، أغلبها مربح جداً، يستفيد منها الكثيرون كالمتهدين، ووكالات التنمية الخاصة، وشخصيات سياسية

وأكاديمية ومؤسسات محلية. ويستقدم المتعهدون الخبراء الأجانب، لأسباب تتعلق بالربح، في حين أنهم لا يقدمون عملاً حقيقياً يمكن أن يخدم المؤسسات الفلسطينية، أحد الذين عملوا في برنامج لدعم القضاء الفلسطيني يعطي مثلاً: «أذكر خبيراً أتى ليضع تقريراً عن أخلاق القضاة. كلف المانحين إقامته لمدة شهرين أكثر من مائة ألف يورو. لماذا؟ لتقرير من ١٧ صفحة لا فائدة منه إطلاقاً“.

هناك طبقة محلية تكونت بعد استفادتها مباشرة أو بطريقة غير مباشرة مما يسميه المؤلف «صناعة الإعانة»، وتتكون من «مديري منظمات غير حكومية، ومشرفين على مشروع تنمية، ومستشارين سياسيين في منظمة دولية أو أساتذة في جامعة بيرزيت، يتقاضون معاش مستشار في القطاع الخاص“.

لم تُثر هذه الطبقة التي تتركز في حي الطيرة غرب رام الله من خلال الأملاك العقارية، أو الانتماء لحركة «فتح»، أو من شركات عائلية: «بل في المعاشات بالدولار (بين ٣٠٠٠ و١٠٠٠٠ في الشهر) وتراخيص التنقل داخل إسرائيل وتذاكر سفر لحضور مؤتمرات في الخارج. تلتقي بهم في مطاعم المدينة الأنيقة، في حفلات القنصليات وفي قاعة الشخصيات الهامة لجسر اللنبي، نقطة المرور بين الضفة الغربية ومطار عمان،

فتح خزائن البنوك، التي كانت سابقاً تنتهج سياسة متحفظة، لإطلاق برامج إقراض، جعلت نسبة كبيرة من الـ ١٦٠ ألف موظف في السلطة، يكفون لسد ما اقترضوه. ينقل المؤلف عن الاقتصادي سام بحور: «مجتمع غارق في الدين لا يتمرد على السلطات القائمة. عندما تستدين لتشتري منزلاً أو سيارة، لا تنزل تحتج في الشارع».

يقول المؤلف: «لقد تحوّل قراصنة الجو، خاطفو الطائرات في سبعينات القرن العشرين وقاذفو الحجارة في الثمانينات، الذين كان يعبدهم الثوار في العالم بأسره، يشيد بهم خبراء صندوق النقد الدولي. هل سيعيد هذا التغير للفلسطينيين حريتهم؟ لا أحد يدري. أمّا اليوم، فهو يساهم أولاً في ازدهار أعمال حفنة من ذوي الامتيازات».

يضيف: «بعد انطلاق مسيرة السلام، سنة ١٩٩٣م، تم إدماج كل شباب الانتفاضة الأولى تقريباً في دوائر الأمن التابعة للنظام الجديد. وحصر حماس القومي باتجاه بناء نواة جيش. في نهاية السنوات تحوّل بعض مقاتلي الانتفاضة الثانية إلى حراس في المتاجر أو الفنادق ذات الخمسة نجوم. وتحوّل الهوس الثوري إلى الدفاع عن القطاع الخاص».

ويتساءل كاتب المقال: هل هو كتاب ينذر بالعاصفة قبل هبوبها، كما يقول الناشر؟ أم أن موعد فلسطين مع الرياح، ما زال مؤجلاً، أو مستحيلاً؟ □

حيث تعفيهم مكانتهم الاجتماعية من الانتظار إلى ما لانهاية، الذي هو نصيب مواطنيهم الأقل حظاً منهم». هذا الطبقة هي التي تعطي رام الله: «وتيرتها السريالية وهويتها المفصومة، تتنازع بين الحرية والازدهار والاحتلال والاستعمار».

هذه الطبقة تحظى بدعم المانحين: «الذين كانوا مقتنعين بأن ظهور طبقة وسطى عليها، حريصة على رعادة عيشها، يساهم في استقرار السلطة الفلسطينية، وبالتالي حل النزاع»، ولكن في واقع الأمر، لا يوجد قناعة بحل النزاع، وهو ما يقال خلف الكواليس، وإنما إيجاد أرضية لاحتمال احتلال طال أكثر من اللازم.

النخب المثقفة كانت جاهزة لبيع خبراتها، مثلاً: «تحمّست البرجوازية المثقفة التي تدور في نطاق جامعة بيرزيت، سارع كثير من أفرادها إلى تأسيس منظمات غير حكومية للدفاع عن حقوق الإنسان، لدراسة الديمقراطية أو لتعزيز دور المرأة، كلها مواضيع كانت جزءاً لا يتجزأ من برامج الأحزاب والنقابات، التي أعيدت صياغتها استجابة لشواغل المانحين. بذلك، دخلت هذه النخبة المثقفة في مسار تغريب يتيح لها سهولة أكبر للحركة الدولية وزيادة للموارد لاستهان بها».

محاولة الحفاظ على الوضع القائم، وإدارة الصراع وليس حله، أدت إلى

الجمعيات النسوية في فلسطين

أم عبادة _فلسطين

ما أن هدمت دولة الإسلام حتى ورث الغرب أملاكها وسيطر على أراضيها، وراح ينشر ثقافته بين أبنائها لعله ينجح في إطالة عمر كبوتهم، وتضليلهم في مسيرتهم.

ولقد نجح الغرب فعلاً في حرف مسيرة الأوائل ممن حاولوا النهوض بعد أن كان قد أجهز على سلامة تفكيرهم وحشا عقولهم بثقافة كاذبة ضالة مضلة تجعل كل حركة يتحركونها تدور في حلقة مفرغة، وتحيل كل خطوة يخطونها رجوعاً إلى الوراء دون أن يشعروا ... بل وهم يظنون أنها خطوة إلى الأمام وبداية الطريق إلى النهوض والارتقاء.

ومع أنه صنع طبقة من العملاء والتي تبوّأت قيادة مجتمعاتنا في كل المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية إلا أن الغرب لم يكتفِ بتلك الطبقة بل ظل يعمل على أن يكون نجاحه في إزاحة الإسلام عن حياة المسلمين نجاحاً دائماً، لذا عمل على تخريب عقول الأجيال الصاعدة وبرمجتها لتكون نسخة مشوهة للعقول الغربية... لا ترتبط بتاريخها ولا دينها ولا مبادئها... لكنه كان يعلم أنه حتى يحقق

النجاح الباهر لا بد له من الوصول إلى المرأة المسلمة في قلعتها الحصينة التي تجلس فيها آمنة مطمئنة تربي الأجيال وتهيئها لخدمة أمتها ودينها... فهو قد رأى نتائج عمل تلك المرأة في كثير من الأحداث... فهي التي أرسلت قوافل الثوار لطرد الاستعمار من بلادها تحت شعار الجهاد في سبيل تحرير أرض الإسلام من سيطرة الكافر المستعمر... لقد وعى الغرب على دور المرأة في إحياء الإسلام في نفوس أبناء الأمة وتعزيز دورهم القيادي

في إنهاض بلادهم وأمتهم... فجعل إفسادها وتلويثها بمفاهيمه الساقطة العفنة من أولوياته.... فخطط لذلك ودبر وسار في تنفيذ خططه على مهل حتى يكون نجاحه محققاً ولا يلتفت إلى خبثه من يُحبط خططه ويفشلها.

بدأ استهداف المرأة عن طريق جرّها للتعامل مع المؤسسات الخيرية باستهدافها كمستفيدة من الخدمات التي تقدمها تلك الجمعيات والمؤسسات

..... ثم تشجيعها على أن تشارك في تمويل تلك الجمعيات، ثم الانخراط بالعمل التطوعي فيها كل ذلك بأساليب خبيثة، فقد استغلت حث الإسلام على مساعدة المحتاج وكفالة الأيتام وإقالة أصحاب العثرات ووعده بالثواب الجزيل للمتصدقين والمتصدقات وغيرها من أعمال البر والخير

ماذا عن فلسطين؟

فلعل بداية تأسيس الجمعيات فيها كان لأهداف إنسانية بسبب خصوصية الحالة الفلسطينية التي عانت ولا تزال منذ هدم دولة الخلافة من الاحتلال بكل بشاعته وفضاعته... فالفقر والظلم وانعدام الأمن والقتل والأسر والسجن وامتهان الكرامة هي بعض آثار الاحتلال... كل ذلك جعلها تشجع

الجمعيات الخيرية التي تقدم المساعدات المالية والصحية والتعليمية للفقراء والمحتاجين. كما تقدم الدعم القانوني للأسرى والمعتقلين ... كل ذلك بدعوى دعم صمود الشعب الفلسطيني وخاصة المرأة ... فكانت هذه الجمعيات مفتاح الوصول إلى المرأة واستدراجها وإن لم تتمكن من إظهار نواياها الخبيثة تجاه المرأة بعد.

القيادات الطليعيات من النساء فالهدف المرحلي كان إيجاد قيادات طليعية تتولى تنفيذ الأجندات الغربية. لكن لما أنشئت السلطة في فلسطين وبدأ الحديث عن إقامة دولة للفلسطينيين... أصبح الظرف مؤثراً للمجاهرة بأهداف وترتيبات الغرب للمرأة الفلسطينية فلم يعد من حاجة للتذرع بالأعمال الخيرية والاكتفاء بالجمعيات الإسلامية والرضى بالجمعيات الخدمية بل فتح الباب على مصراعيه لإقامة الجمعيات النسوية التي تعلن عن أهدافها دون خجل أو ورع جاء على موقع إنسان أون لاين تحت عنوان: المؤسسات النسوية بفلسطين.. جدلية التمويل وضرورة المراجعة.

«إلا أن قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية إلى أرض الوطن، شكل نقلة نوعية في تاريخ الحركة النسائية الفلسطينية، ومن أبرز ما رافق هذه المرحلة من تطورات، بروز المؤسسات النسوية المهنية المتخصصة التي ركزت جلَّ اهتمامها على قضايا النوع الاجتماعي، الأمر الذي يمكن اعتباره تنويعاً للتوجه النسوي Femi-nist approach في الحركة النسائية الفلسطينية». وكما تطرح كل من إيلين كتاب ونداء أبو عودة في إطار تحليلهما

للحركة النسوية الفلسطينية، بأنه من ضمن ما اتسمت به مرحلة أوصلو، كان بروز مؤسسات نسوية تخصصية ذات استقلالية عن الأحزاب السياسية، قامت بتبني قضايا المرأة الاجتماعية وتنفيذ الجدل والنقاش الديمقراطي حول قضايا المرأة... ويؤرخ المختصون في مجال المرأة، لولادة هذه المرحلة مع إنشاء السلطة الوطنية، وما واكبها منذ ذلك الحين من تغير في طبيعة عمل المؤسسات النسوية (بحسب المختصين)، وتضاعف أعدادها وصولاً إلى المئات منها، وتتنوع مجالات اختصاصها، وإن بقي محصوراً في مجالات العمل النسوي... سبجان الله لم نرَ المئات من المشاريع التنموية أو الإنتاجية لكن المئات من المؤسسات النسوية... وكأن النهضة والتقدم لا يأتي إلا إذا كانت رائداته من النساء.

لا يحتاج تأكيد أن هذه الجمعيات هي بضاعة غربية، سواء من ناحية المبدأ الذي تقوم عليه وهو (العلمانية) أو النظام الذي تدير عليه وهو النظام الرأسمالي. فالبرامج التي تتبناها والقضايا التي تحملها ومصادر تمويلها تنطق بذلك.

بشكل عام، إن فكرة الجمعيات هي ترقيع غربي لتقصير الدولة في رعاية العجزة والمحتاجين وأصحاب الاحتياجات

الخاصة وما شابههم فلأن الدولة عندهم تقتصر رعايتها على حماية الحريات الفردية فإنها شجعت على إنشاء الجمعيات الأهلية المختلفة البرامج والأهداف، ودعمتها بالمال والتشريعات لتغطي نقائص مبدئهم العفن... وللأسف فإن المسلمين قلدوا الغرب في إقامة الجمعيات لترقيع الأنظمة الدخيلة وإطالة عمرها بدل إسقاطها وإعادة دولة الإسلام التي ترعى تشريعياً وعملياً شؤون الأمة في مختلف قطاعاتها وفئاتها دون تمييز بين غني وفقير ومسلم وذمي وقوي وضعيف وكبير وصغير... يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإمام راع وهو مسؤول عن رعيته»

أما الناشطة السياسية والنسوية خالدة جرار فتقول: «المؤسسات النسوية ليست كلها واحدة، وبعض المؤسسات فعلاً تنفذ أجندة الممول، ونأسف لتوقيع بعضها على وثائق تدين ما يصفه الأمريكان بالإرهاب وفق تعريفهم هم للإرهاب، الذي يشمل مختلف فصائل العمل الوطني التي قدمت هي والمؤسسات النسوية المنبثقة عنها تضحيات كبيرة للمرأة»

وتصف وزيرة شؤون المرأة ربيعة ذياب اشتراط التوقيع على وثائق تدين أي مقاومة مشروعة، في إطار فضفاض للإرهاب، بالتدخل السافر في طبيعة عمل هذه المؤسسات، إلا أن ذياب أكدت أن تلقي المساعدات الخارجية لا يعد تنفيذاً لأجندة خارجية، مضيفة: «أنا أعتبر أن هذا ليس دقيقاً»، ورغم أنها تعتبر هذا ليس دقيقاً إلا أنها تناقض نفسها إذ تقول:

وفي سياق الحديث عن التمويل والأجندات الغربية:

تقول المديرية التنفيذية لمركز شؤون المرأة آمال صيام: «أعتقد أن قضية التمويل قضية محسوم الجدل فيها، فكل المؤسسات الفلسطينية مهما كان تصنيفها تعتمد بشكل أو

«يصل الحد ببعض المانحين ليس التدخل فقط في طبيعة المشاريع، إنما بأسماء العاملين على المشروع، والجهة الوحيدة التي تعتمد إلى ذلك هي الوكالة الأميركية للتنمية»

أما عن آثار هذه الجمعيات والمؤسسات المدمرة على الأسرة والمرأة، فإن أهداف الجمعيات النسوية وحتى المؤسسات الشبابية ومراكز الطفولة والعناية بالأسرة وما شاكلها والتي لم تعد تخفيها بل باتت تعلنها على الملأ مستقوية بحماية السلطة لها وهي تنطق بالسم الزعاف المخطط للمرأة والأسرة المسلمة، فمن الدعوة إلى المساواة بين الجنسين وعدم التمييز بناء على النوع الاجتماعي أو ما يسمى بالجندر..... إلى المساواة في فرص العمل بكل أنواعه وأشكاله دون تحفظ ودون قيد أو شرط، إلى المطالبة في المساواة بفرص التعليم والتأهيل والمشاركة السياسية، وتسير هذه الهيئات والجمعيات لتحقيق أهدافها على مسارين:

الأول: التواصل مع المرأة وإقناعها بهذه المطالب وتحريضها للمطالبة بها كحقوق أصيلة لها لتكوين رأي عام لدى النساء عليها.

والثاني: الضغط على الحكومة لسن التشريعات التي تمكن المرأة من تحقيق

هذه (المكتسبات)... فغاية الهيئات والجمعيات النسوية تشكيل جماعات ضغط تستهدف الحكومة والرأي العام إذ إن لديها مشاريع قوانين خطيرة تهدف لنقض قانون الأسرة الذي يجعل الرجل هو السيد والمرأة تابعة له وخادمة كما يزعمون، وجعل المرأة منافسة للرجل في قيادة الأسرة باعتبارها نداً له، وتشارك في الإنفاق على الأسرة. وكأن المساواة التي لا واقع لها سوى في خيالهم المريض تخدم المرأة ولا تشقيها، أو أن الإنفاق هو سبب قيادة الرجل للأسرة وليس الحكم الشرعي، وهناك مشروع قانون الزواج المدني... الذي يهدف لتحويل الأسرة إلى مؤسسة ربحية يتعامل فيها الزوجان وفق قانون الربح والخسارة وليس بالمودة والرحمة.

أما قانون العقوبات... فيريدون تعديله وحذف كل قانون يحافظ على الفضيلة ويحمي حرمات المسلمين ويمنع الاعتداء عليها أو امتنانها..... فعلى سبيل المثال قانون جرائم الشرف الذي رغم تحفظنا عليه وعلى أمثاله من القوانين كونها لا تمثل الشرع، إلا أن العمل على نقضها يظهر مدى حرصهم على إسقاط المرأة وتحويلها إلى بائعة هوى، ومعاقة كل من يفكر في حمايتها والدفاع عنها والاستشهاد في سبيل شرفها وعفتها،

ومنعها من التفلت والسقوط في هاوية الرذيلة ما يشكل معول هدم يفكك الأسرة ويضيعها.

مخططاتهم ستتخلى عن دورها الذي ألزمها به الإسلام كأم وربة بيت وعرض يجب أن يسان...

وينقدون قانون العمل... الذي لا يعطي المرأة الحقوق التي تعطى للرجل على مستوى الأجرة والترقيات والمكافآت والإجازات...

ويتبنون قضايا العنف ضد المرأة، الزواج المبكر، الاختلاط، اللباس الشرعي، وغيرها وغيرها من القضايا التي يعتبرونها معيقة لنهضة المرأة وتعرقل مشاركتها الفعالة في المجتمع وتضعف إحساسها بقيمتها الذاتية والمجتمعية.

هذه هي الجمعيات والهيئات الفلسطينية التي تدعي دعم المرأة وتبصيرها بحقوقها ومساعدتها على إثبات ذاتها وتقوية شخصيتها من أجل تعزيز دورها في الحياة الاجتماعية والمجتمعية والاقتصادية والسياسية والعلمية بينما الحقيقة أنهم يريدون للمرأة الفلسطينية المسلمة أن تكون صورة مشوهة عن المرأة الغربية التي تلهث وراء الشعارات البراقة والشهرة الزائفة والشقاء الدائم في الدنيا والآخرة في الدنيا حيث يريدونها أن تقوم بدور الرجل والمرأة معاً فتنهك وتشقى في حين هي في غنى عن كل هذا التعب وفي الآخرة إذ إن في مطاوعتهم والسير في

الخبیثة ولتحبطوا مخططاتها بمنع نسائكم وبناتكم من زيارة هذه الجمعيات وحضور فعالياتها وأنشطتها الخبیثة الهدامة ولتحصنوهن بالثقافة الإسلامية العظيمة والمفاهيم الإسلامية الحكيمة وخاصة الأحكام المتعلقة بالمرأة حقوقها وواجباتها ودورها المحوري في الحياة الإسلامية ... ولتعملوا جميعاً رجالاً ونساءً مع العاملين والعاملات لإعادة دولة الخلافة التي ستحمي النساء والأسر والمجتمع بل والإنسانية من هذه المؤسسات وداعميها ومموليها، وترعاهم أحسن رعاية وترتقي بهم الارتقاء اللائق بالإنسانية ... فهذه هي الضربة القاضية التي ستطيح بهذه الهجمة الشرسة على نسائنا وبناتنا وإسلامنا العظيم. □

بسم الله الرحمن الرحيم

مشكلة الاحتباس الحراري

نتيجة طبيعية للنظام الرأسمالي ونظرة الإسلام لها

الأستاذ عبد الناصر موفق

مباشر على الجهاز العصبي للإنسان، وقد أدى ذلك إلى ظهور الكثير من الأمراض الخطيرة، في تلك البلدان. هذا هو حال البيئة بشكل عام، ولكن في العقود القليلة الماضية حظيت مسألة واحدة تتعلق بالبيئة بالاهتمام الشديد، وهي ظاهرة التغير المناخي الناتجة عن الاحتباس الحراري، حيث إن نتائج هذه الظاهرة تعمُّ العالم بأسره فلا تسلم من آثارها أي دولة أو منطقة، وقد أدى ذلك إلى حصول اهتمام عالمي بهذا الأمر وانعقاد مؤتمرات علمية ومحافل دولية ولقاءات قمة للبحث في أسباب المشكلة وكيفية علاجها ومدى مساهمة دول العالم في التصدي لها، وحرصَ القائمون على مثل هذه اللقاءات على صياغة اتفاقيات دولية تتضمن التزامات بما يرونها حلاً لمشكلة المناخ وتصدياً لأسبابها.

والاحتباس الحراري يطلق على ظاهرة ارتفاع درجة حرارة الأرض عن معدلها الطبيعي. وحسب المتسببين

لقد أدى الاستخدام الجشع وغير المدروس من قبل الإنسان للثروات والموارد الطبيعية التي سخرها الله سبحانه وتعالى له في هذه الأرض إلى الإضرار الكبير بالبيئة الطبيعية، والبيئة الطبيعية هي مصطلح يقصد منه جميع الكائنات الحية والأشياء غير الحية التي توجد أو تحدث بشكل طبيعي على الأرض أو جزء منها. فالدول والشركات الغربية أتلفت مباشرة أو بطريق غير مباشر الغابات والأنهار وقضت على كثير من الحيوانات حتى أصبح بعضها مهدداً بالانقراض، الأمر الذي دعا لنشوء ما يسمى بمنظمات حماية الحيوان. وكذلك الحال بالنسبة للبيئة فقد تم إرسال ملايين من أطنان النفايات السامة من الدول الغربية الصناعية إلى ما يسمى بدول العالم الثالث مما نتج عنه تلوث الأراضي والأنهار والبحار في تلك البلدان حيث إن جزءاً كبيراً من هذه النفايات هو نفايات سامة مثل البطاريات والرمال الثقيل، وهي ذات تأثير

إلى حدوث موجات من الجفاف وتصحر مساحات كبيرة من الأرض، وانقراض العديد من الكائنات الحية.

ولسنا هنا في صدد مناقشة هذه الظاهرة من ناحية علمية، وإن كانت تحتاج لمثل هذا النقاش حيث تعددت الآراء حولها، ولكننا هنا سوف نفترض صحة هذا المفهوم ونتناول الموضوع من خلال أربعة محاور أساسية:

١. من المسؤول عن هذه الظاهرة وعن تدهور حالة المناخ بشكل عام؟
٢. الرأسمالية وحلولها المطروحة لهذه الظاهرة ومدى انبثاقها من المبدأ الرأسمالي.

٣. وجهة نظر الإسلام بالتعامل مع المناخ الطبيعي والأحكام التي تتعلق بذلك.

٤. الحل الحقيقي لمشكلة المناخ.
إن مشكلة البيئة بمعناها الشامل تعود في أساسها إلى أسباب فكرية وأزمة أيديولوجية عميقة نتج عنها ممارسات منتظمة أدت إلى حدوث الأزمة البيئية وتفاقمها، ونستطيع أن نقرر أن الثورة الصناعية التي حملت القسط الأكبر من إثم إحداث الخلل البيئي قد انطلقت

وتطورت في الغرب، ولا يزال الغرب هو الرائد فيها والعالم في ذلك تبع له. وهي حضارة ذات طابع مادي مصلحي تقضي فلسفتها بإقصاء الخالق سبحانه وتعالى عن شؤون الحياة، وتدعو إلى الحريات

في هذه المشكلة أن هذا الارتفاع هو نتيجة لانبعاث الغازات التي تسهم في ذلك، ومن بين هذه الغازات غاز CO_2 (٣٩٪) وبخار الماء (٥٥٪) والغازات الدفيئية (٦٪): الغازات المفلورة (HFC: Hydrofluocarbares, PFC : Perfluocarbares, SF_6 : Hexafluorure de soufre) الميثان (CH_4) والأزوت (N_2O) والأوزون (O_3) . وتختلف قدرة رفع درجة الحرارة من غاز لآخر، ويقاس تأثير الغاز بتقنية تسمى التأثير الإشعاعي (Forçage Radiatif) حيث هناك من له قدرة التأثير تفوق غاز CO_2 بالآلاف المرات مثل الغازات المفلورة (٢٤٠٠٠ مرة). ومنها من له قدرة تأثير لفترات طويلة جداً تصل لعشرات آلاف السنين مقارنة مع غاز CO_2 ، ويستعمل هنا معيار يسمى طاقة التدفئة الإجمالية أي Potentiel de Réchauffement Global (PRG) ، للمقارنة مع غاز CO_2 الذي يأخذ رقم واحد كقيمة مرجعية لمدة قرن، وتصل هذه القيمة إلى ٢٥ مرة عند غاز الميثان ٢٢٨٠٠ مرة عند الغازات المفلورة (SF_6) .

ومن النتائج التي سوف تحدث نتيجة هذا الارتفاع، ذوبان الجليد الذي سوف يؤدي إلى ارتفاع مستوى سطح البحر، الأمر الذي سوف يؤدي إلى غرق الجزر المنخفضة والمدن الساحلية، بالإضافة

وعليه إشباع الحاجات اللامتناهية لا يكون إلا على حساب الموارد المتناهية، دون وجود أي اهتمام لتوزيع الثروة على أفراد المجتمع الأمر الذي أدى إلى ارتفاع أعداد الفقراء حول العالم. فحسب إحصاءات من تقرير الأمم المتحدة يقول: "يعيش على كوكب الأرض ٦ مليار من البشر، يبلغ عدد سكان الدول النامية ٤,٣ مليار، يعيش منهم ما يقارب ٣ مليار تحت خط الفقر... وأن أكثر من ٨٠ ٪ من الأرباح إجمالي الاستثمار الأجنبي المباشر في البلدان النامية يذهب إلى ٢٠ دولة غنية». في حين تبلغ ثروة ثلاثة من أغنى أغنياء العالم ما يعادل مجموع الناتج المحلي لأفقر ٤٨ دولة في العالم، كما أن ثروة ٢٠٠ من أغنى أغنياء العالم تتجاوز نسبتها دخل (٤١٪) من سكان العالم مجتمعين، وتوضح الدراسات أنهم لو ساهموا بـ ١٪ فقط من هذه الثروة لغطت تكلفة الدراسة الابتدائية لكل الأطفال في العالم النامي. وبينما يموت ٣٥ ألف طفل يومياً بسبب الجوع والمرض، وتقل المساعدات المخصصة للدول الفقيرة عن طريق منظمة الأمم المتحدة عما تنفقه ٩ من البلدان المتقدمة على غذاء القطط والكلاب في ستة أيام فقط.

وعلى ما تقدم فالمسؤولية المباشرة هي على النظام الرأسمالي وفلسفته الخاطئة التي جرّت الولايات على العالم، ولا يجوز بأي حال من الأحوال قبول أن

ومنها حرية التملك والحرية الشخصية، وتجعل المصلحة مقياس الأعمال، وترى سعادة الإنسان في حصوله على أكبر قدر ممكن من المتع الشخصية. وما يعيننا مباشرة هنا، أنها تعتبر المشكلة الاقتصادية هي الندرة النسبية للسلع والخدمات. وبمثل هذا الأساس الفكري كانت المعالجة المطروحة من قبل الرأسمالية هي زيادة الإنتاج، فقد جعلت مقياس النجاح الاقتصادي في حجم الدخل القومي ومعدل زيادة النمو، دون الالتفات إلى أثر ذلك على البيئة، وقامت الشركات الكبرى باستنزاف الموارد الطبيعية وملء الأسواق بكميات ضخمة من المنتجات. ومن أجل تصريف هذه المنتجات وتحقيق الأرباح قامت بتعزيز مفهوم الاستهلاك في المجتمع، وأصبح استبدال السلع لدى الأفراد بسلع أخرى جديدة دون وجود حاجة فعلية لمثل هذا الاستبدال أمراً مقبولاً بل مطلوباً في واقع المجتمعات، هذا بالإضافة إلى أن وجود مفهوم الندرة النسبية لدى الرأسمالية أدى إلى وجود مفهوم آخر لا يقل خطورة على البيئة عندهم ألا وهو أنه لا بد من المفاضلة دائماً بين التقدم والقضايا البيئية وكأن التقدم يقتضي الاعتداء على البشر والحيوانات والطبيعة المحيطة بنا، حيث إن مفهوم الندرة النسبية يعني أن حاجات البشر لا متناهية بينما الموارد الطبيعة متناهية؛

عليها وهي بحدود ٢٠٪، وطريقة ذلك أن الشركات الموجودة في تلك الدول تكون لها نسبة محددة من الكمية المعطاة للدولة، وعلى هذه الشركات تخفيض نسبة الانبعاثات على مر الزمن، وبذلك تتخفف الانبعاثات إلى الحد الذي ألزمت به الدولة نفسها. ويحق للشركات التابعة للدولة الموقعة أن تستخدم كل الكمية المخصصة لها من الانبعاثات أو تكفي بكمية أقل من ذلك، ولهذه الشركات الحق في بيع ما يفيض عن الكمية المحددة لها في السوق العالمية لشركات أخرى تود أن تزيد من كمية CO_2 المنبعث نتيجة لزيادة صناعاتها، مما أدى إلى ظهور CO_2 كسلعة تحدد أسعارها حسب قاعدة العرض والطلب. إن آليات نظام "كاب أند ترید سیستم" تهدف إلى تخصيص حقوق ملكية التلوث للشركات الأكثر تلويثاً والبلدان التي تتبع لها هذه الشركات، حيث يقول نيكولاس ستيرن "كبير الاقتصاديين السابق في البنك الدولي" معلقاً على هذا النظام: "إن الرخصة الأساسية لتداول الانبعاثات هي إعطاء حقوق الملكية لأولئك الذين يُلَوِّثُونَ، ومن ثم السماح لهم بالتداول التجاري"، وبناء عليه فقد أصبح CO_2 سلعة لها سوقها الخاص المعروف باسم سوق CO_2 .

أما الجزء الثاني من الحل فيكمن في التنمية النظيفة، حيث إن آلية التنمية

تتحول هذه المسؤولية إلى مسؤولية فردية بأن يقال لا تستعمل ملطف الجو أو لا تستعمل الكهرباء وما شابه ذلك، حيث إن مثل هذا التقنين من قبل الأفراد يقابله بالوقت نفسه بيع لهذا الفائض الذي قُتِنه الأفراد من قبل الشركات. ولتوضيح هذه النقطة لا بد لنا من أن نستعرض الحلول التي أوجدتها الرأسمالية لمشكلة يمثل هذا الحجم، وعندما أقول بمثل هذا الحجم أود أن أقتبس قول رئيس الوفد السوداني لمؤتمر كوبنهاجن رداً على المساعدات المقترحة للدول النامية حيث قال: «إن العشرة مليارات لن تكفي لشراء توابيت لمواطني البلدان النامية» وإلى قول أنطونيو ليمار رئيس وفد الرأس الأخضر لمؤتمر كوبنهاجن: «ما نتفاوض عليه هو بقاؤنا على قيد الحياة. البعض منا يشهد منذ الآن هجرة شعبه من أراضيه»،

فالحل الرأسمالي من اتفاقية كيوتو إلى مؤتمر كوبنهاجن تكوّن من جزئين:

الجزء الأول: أرسى نظام الحصص المتعلق بـ CO_2 والذي يسمى "Cap and trade system" حيث إنه جزء لا يتجزأ من برتوكول كيوتو وكل الاتفاقيات التي تلتها، وبحسب هذا النظام فإن الدول المشتركة التي تخبر عن كمية CO_2 المنبعثة من صناعاتها تلتزم بتخفيض الكمية المخبر عنها بالنسب المتفق

كلا الأمرين فإن المسؤولية تقع مباشرة على الدول الرأسمالية وليس على أي أحد سواها.

أما الإسلام فلا يقر مفهوم الندرة النسبية للسلع والخدمات، وإنما يطلب منا الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى قد سخر لنا ما في الأرض جميعاً، وكفل لنا الرزق حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ۝١٩﴾. وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾. وقال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾. ولذا فالإسلام يرى أن المشكلة الاقتصادية هي توزيع الثروة لا الندرة النسبية، فلا يجعل همه منصراًفاً إلى زيادة الإنتاج بل إلى مكافحة فقر الأفراد، وإلى سد حاجات الناس لا إلى تكديس الثروات في أيدي قلة فيما يريزح باقي الناس تحت الفقر والعازة.

هذا بالإضافة إلى أن الملكية في الإسلام على ثلاثة أنواع:

✓ الملكية الفردية: وهي حكم شرعي مقدر بالعين أو المنفعة، يقتضي تمكين من يضاف إليه من انتفاعه بالشئ وأخذ العوض عنه. والحق في ملكية العين ليس ناشئاً عن العين نفسها ولا عن طبيعتها أي عن كونها نافعة أو غير نافعة، وإنما هو ناشئ عن

النظيفة تسمح للدول الصناعية بزيادة حصصها من CO_2 عن طريق شراء اعتمادات تخفيض CO_2 من الدول النامية. وبناء على هذا المفهوم للتنمية النظيفة فإن الشركات ليست بحاجة لتخفيف التلوث حتى لو استنفذت حصصها من نسبة التلوث المنصوص عليها، إن هذا النظام يطبق من خلال جعل الشركات الغربية أو البلدان النامية الموقعة تنفذ مشاريع تساعد على مكافحة انبعاث CO_2 ، ووفقاً لبروتوكول كيوتو فإن هذه المشاريع تعطي حصصاً إضافية من اعتمادات إنتاج CO_2 ، حيث تعتمد هذه الشركات التي حصلت على هذه الحصص نتيجة لتنفيذها مثل هذه المشاريع إلى بيعها في السوق العالمية، وعليه عوضاً عن تخفيض نسبة الانبعاثات يؤدي ذلك لزيادتها.

هذا باختصار الحل الذي تطرحه الرأسمالية تجاه مشكلة بهذا الحجم، ونستطيع أن نرى كيف يؤدي هذا الحل إلى مزيد من الاحتكار، وإلى مزيد من تكديس الأرباح لدى الشركات الكبرى في العالم، هذا ولا بد لنا أن ننوه إلى أنه منذ بداية هذه الاتفاقيات إلى الآن لم يحصل أي انخفاض في حرارة الأرض أو تقليل لانبعاث الغازات المسببة للاحتباس الحراري مما يدل دلالة قطعية إلى أن هذه الاتفاقيات إما أنها فاشلة بحد ذاتها أو أن تطبيقها فاشل، وفي

- إذن الشارع.
- ✓ ملكية الدولة: وهي كل مال كان الحق فيه لعامة المسلمين والتدبير فيه للخليفة يخص بعضهم بشيء من ذلك حسب ما يرى، كالخراج والفيء والجزية... وما شابهها.
- ✓ الملكية العامة: وهي إذن الشارع للجماعة بالاشتراك في الانتفاع بالعين. والأعيان التي تتحقق فيها الملكية العامة هي الأعيان التي نص الشارع على أنها للجماعة مشتركة بينهم، ومنع من أن يحوزها الفرد وحده، والملكية العامة تتحقق في ثلاثة أنواع هي:
- ماهو من مرافق الجماعة بحيث إذا لم تتوفر لبلدة أو جماعة تفرقوا في طلبها، كالماء والمراعي ومصادر الطاقة، قال صلى الله عليه وسلم: «المسلمون شركاء في ثلاث: الماء والكلاء والنار» رواه أبو داود.
- المعادن التي لا تنقطع: المعادن ملكية عامة وليست ملكية فردية ولا ملكية دولة، وهذا يشمل المعادن الظاهرة كالمح والكل والياقوت وما شابهها أو المعادن الباطنة التي لا يتوصل إليها إلا بالعمل والمؤونة، كمعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص وما شاكلها، وسواءً أكانت جامدة كالبلور أم سائلة كالنفط والزئبق الأحمر، فإنها كلها معادن تدخل تحت الحديث.
- الأشياء التي من طبيعة تكوينها تمنع الفرد من حيازتها وتختلف عن القسم الأول، كالطرق والغابات والأنهار والبحار والبحيرات والخلجان والمضايق ونحوها، ويلحق بها المساجد ومدارس الدولة ومستشفياتها والملاعب والملاجئ والغلاف الجوي والهواء وما شابهها.
- وكما هو واضح أن مفهوم البيئة يقع ضمن الملكية العامة، فهي ملك للمسلمين جميعاً بحيث لا يجوز للشركات أو الأفراد أن تملكه أو أن تسيء إليه، حيث جعل الإسلام الإفساد في الأرض جريمة منكرة، فقال الله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۖ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَهُلَّاكَ الْحَرثُ وَالنَّسْلُ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ۖ﴾. ومما هو واضح تماماً أن تلويث البيئة هو من باب إهلاك الحرث والنسل، وقد حكم الإسلام بوجوب رفع الضرر حيث كانت القاعدة الشرعية «لا ضرر ولا ضرار»، والقاعدة «الضرر يزال» وقاعدة «كل فرد من أفراد المباح إذا كان ضاراً أو مؤدياً إلى ضرر حرم ذلك الفرد وظل الأمر مباحاً».
- وعليه يمنع الضرر الواقع على الملكية العامة من ناحية. ومن ناحية أخرى فإنه وجب إزالة هذا الضرر للقواعد المذكورة سابقاً. هذا وقد جعل

في صحيح البخاري ما نصه: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخذه فشكر الله له فغفر له»، وكذلك قال عليه الصلاة والسلام: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»، وقوله عليه الصلاة والسلام «ما من إنسان قتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها إلا سأل الله عز وجل عنها، قيل: يا رسول الله، وما حقها؟ قال يذبحها فيأكلها ولا يقطع رأسها يرمى بها».

وكذلك الإسلام قد عالج المفهوم المصاحب لمفهوم الندرة النسبية ألا وهو الاستهلاك. فقد حرم الإسلام الترف واعتبره إثماً. والترف باللغة البطر والغطرسة من التتعم، ومما لا شك فيه أن الاستهلاك بالمفهوم الرأسمالي يصل لهذا المستوى.

وعليه نجد أن الإسلام عالج مشكلة البيئة من محاور عدة:

• فقد بين خطأ مفهوم الندرة النسبية وأن المشكلة مشكلة توزيع الثروة وليس إنتاجها...

• عالج مشكلة الإساءة للبيئة من ناحية وجوب إزالة الضرر ومنعه باعتباره ملكاً للجماعة...

• وعزز مفهوم الإحسان للبيئة... هذا بالإضافة لمعالجة الفهم المتعلق بالاستهلاك حيث أوجد نمط

الإسلام آليات لتطبيق هذه المعالجات منها: قاضي الحسبة حيث من واجبه إزالة الضرر المتحصل من الشركات أو الأفراد على الملكية العامة، وكذلك قاضي المظالم يعمل على إزالة الضرر المتحصل من الدولة على الملكية العامة. ومما لا شك فيه أن البيئة تدرج تحت الملكية العامة. وبهذه الآلية يحفظ الإسلام البيئة ويزيل الضرر الذي قد يلحق بها من جراء اعتداء الشركات أو الدولة عليها، ومرة أخرى أركز على إزالة الضرر وليس مخالفة المتسبب بالضرر. فالقاعدة الشرعية الضرر يزال. وعليه إزالته لزوماً، ومن ثم مخالفة أو معاقبة المتسبب إن رأى القاضي ذلك، وليس الحال كالنظام الرأسمالي الذي يستبدل المخالفة المالية بالإزالة، الأمر الذي يؤدي إلى بقاء الضرر على ما هو عليه دون إزالته في أغلب الأحيان.

وعلى ما تقدم يتوضح لنا حرمة الإساءة للبيئة في الإسلام باعتبارها حقاً للمسلمين وجب الحفاظ عليه ووجب إزالة الضرر في حالة حدوثه، ولكن الإسلام لم يكتف فقط بتحريم الإساءة للبيئة، وإنما حَضَّ على الإحسان لها وأثاب على هذا الإحسان، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما نصه: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»، وقال عليه الصلاة والسلام

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١١﴾ .

وربما هذه المشكلة مبالغ فيها كثيراً مثل فيروس أنفلوزا الخنازير الذي تبين أنه من اختراع مخابر صنع الأدوية لغرض النصب والاحتيال على أموال الغير، لأن أبرز ما في النظام الرأسمالي هو حرية التملك سواء بالاستعمار بالنسبة للدول أو النصب والاحتيال بالنسبة للشركات. وأما دعوات مقاطعة البضائع فهي أقرب ما تكون للخيال. فهي مستحيلة التطبيق هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لا تؤدي لحل مشكلة المناخ، حيث إن المشكلة ليست بالمصانع ولكن المشكلة في الرأسمالية أيديولوجياً، إن الرأسمالية هي عقيدة كلية ينبثق عنها نظام. وهذا النظام قد أثبت فشله وجر الويلات على العالم من أزمة مناخ إلى أزمات مالية متتالية ولا نعلم ما هي الأزمات القادمة، ناهيك عن الفقر والبؤس الذي يعيش به سكان العالم، ومن المعلوم أن النظام لكي ي زال يحتاج إلى نظام بديل يحل محله، وليس هناك من نظام صحيح إلا النظام الإسلامي، سائلين الله عز وجل أن يمن علينا بسرعة تطبيقه، رحمة بالبشر والحيوان والشجر، والله الخالق البارئ المصور هو أرحم الراحمين والقادر على كل شيء. □

حياة خاصاً بالمسلمين قائماً على عدم الإسراف ومراقبة الله تعالى في كل كبيرة وصغيرة، والمفاضلة المستمرة بين نعيم الدنيا والزائل ونعيم الآخرة الباقي حيث كان الصحابة رضوان الله عليهم يحاسبون أنفسهم على المباح.

وبذلك نكون قد استعرضنا كل من الرؤية الرأسمالية والإسلامية لمشكلة البيئة بشكل تفصيلي، ولكن كيف يكون الحل؟ حالياً نشهد نسبة تلوث عالية وهي في ازدياد مستمر، وإذا صحت الدراسات البيئية فالعالم بأسره على شفير الهاوية؛ فلا بد من وجود حل سريع وفعال لهذه الأزمة. وأقول بكل ثقة إن الرأسمالية غير قادرة على أن تقدم حلاً للبشرية وخاصة أنها بمفهومها الأيديولوجي السبب الرئيس بهذه الأزمة، وأي حل سوف تقدمه سوف ينبثق من عقيدتها الأمر الذي لن يجدي أي نفع، علماً بأنها هي التي تقدم كل الحلول إلى الآن، تلك الحلول التي لم تأت إلا بمزيد من الفشل والأسى.

وعليه إذا أردنا أن نزيل المشكلة لا بد لنا من أن نزيل السبب الرئيسي لها ألا وهي الرأسمالية. فبغير هذا الأمر لا يكون هناك أي حل لمشاكل البشرية ومنها مشكلة البيئة، حيث قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا

بسم الله الرحمن الرحيم

دولة الخلافة وما يسمى بالأقليات (٤):

التشريع الإسلامي وأهل الذمة

ياسين بن علي

يقول بعض الناس بأن الإسلام مَيَّز في أحكامه بين المسلمين وغير المسلمين وأعطى للمسلمين حقوقاً لم تعطَ لغيرهم، وخصوصاً في مجال المشاركة السياسية، فلم يجز لغير المسلم مثلاً أن يكون حاكماً، وأوجب الجزية على غير المسلم بينما لم يوجبها على المسلم، واشترط في الأحزاب السياسية أن تقوم على أساس الإسلام، وهكذا فإن الإسلام يميز بين الرعايا فيعطي قوماً ويمنع آخرين، يعطي المسلمين ويمنع غير المسلمين، فكيف يدعى بأن الإسلام لا يميز بين الرعية؟

«على اليد ما أخذت حتى تؤديه» (رواه أحمد) عام يشمل جميع الناس. والتشريع الإسلامي يعالج مشاكل الناس باعتبارها مشاكل إنسانية فقط لا بأي اعتبار آخر، فلا ينظر إلى المشكلة من ناحية اقتصادية مثلاً، بل ينظر إليها على أنها مشكلة إنسانية تحتاج إلى وضع معالجة لها فيقوم بعلاجها على النحو المناسب. وعليه فإن التشريع الإسلامي لا يعرف التمييز في أحكامه مطلقاً، غير أن ذلك لا يعني أنه يجعل للناس جميعهم حكماً واحداً في كل قضية، بل يراعي أوصافاً معينة عند التشريع تلائم واقع القضية المراد علاجها. فمثلاً حين نظم علاقة الرجل بالمرأة لاحظ في أحكامه وصفي الذكورة والأنوثة لتعلقهما

وللإجابة على هذه القول ينبغي أن نقف على واقع التشريع الإسلامي: لقد نظر التشريع الإسلامي إلى البشر بوصفهم الإنساني، وجعل الخطاب موجهاً إلى الإنسان، وقد عرّف علماء الأصول الحكم الشرعي بأنه: (خطاب الشارع المتعلق بأفعال العباد) فالتكليف متعلق بالعبد، ولذلك صرح علماء الأصول بأن الكافر مكلف ابتداءً بأحكام الإسلام لأنه مشمول بها وإن كان لا يلزم بها جميعها في الدولة. فقلوله تعالى في سورة الحج: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبَّكُمْ إِنَّكَ رَزَلَةٌ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١) ﴿وجه إلى الناس مسلمهم وكافرهم، وذكرهم وأنثاهم، وأبيضهم وأسودهم. وقوله ﷺ:

المال على غير مالكة كما يفرض على المالك. والإسلام حين جعل العقل مناط التكليف، وجعل البلوغ والقدرة من شرائطه، فجعل للمجنون والصغير وغير القادر أحكاماً تختلف عن أحكام العاقل والبالغ والقادر، لم يقم بعملية تمييز لصالح هؤلاء على أولئك، ولا لأولئك على هؤلاء، بل نظر إلى هذه الأوصاف المؤثرة فرتب عليها اختلافاً في الأحكام؛ لأنها تقتضي هذا الاختلاف، إذ لا يصح أن أسوي بين العاقل وغير العاقل في التكليف، أو أن أكلف الإنسان فوق طاقته.

وهذا عينه ما فعله التشريع الإسلامي عندما فرّق في الأحكام بناء على وصفي الإسلام والكفر، فالمدقق في الأحكام التي حصل فيها اختلاف بين المسلم والكافر يتبين له أن هذا الاختلاف اقتضته طبيعة المسألة وكان لا بد منه ولكنه ليس تمييزاً، ولنأخذ على ذلك بعض الأمثلة:

لقد اشترط الإسلام في الحاكم سواء أكان خليفة أم معاون تفويض أم والياً أم عاملاً، وفي القاضي أن يكون مسلماً ولم يجز شغل هذه المناصب من غير مسلم؛ وذلك لأن الدولة الإسلامية تنفذ الشرع الإسلامي في الداخل وتحمل رسالة الإسلام إلى العالم الخارجي بالدعوة والجهاد، فعمل الحاكم في الدولة الإسلامية يدور بين تطبيق

المباشر بهذه المسألة، فجاء بأحكام تتعلق بالمرأة تختلف عن أحكام الرجل بهذا الاعتبار، فجعل عورة الرجل تختلف عن عورة المرأة، وخصها بأحكام الحيض والنفاس والولادة إذ طبيعة بنيتها الجسدية تقتضي ذلك، وجعل الأصل في المرأة أن تكون أما وربة بيت وعرضاً يجب أن يُصان إذ طبيعة استعداداتها الجسدية والنفسية المختلفة عن الرجل تقتضي ذلك. وفي المقابل أوجب على الرجل القيام على أمر المرأة والعيال ورعاية شؤونهم وأوجب عليه النفقة لهم، ولما قسم الميراث أعطى أحياناً للذكر مثل حظ الأنثيين مراعيًا ما أوجبه على الذكر من النفقة على المرأة. فهذا الاختلاف في الأحكام لا يعد تمييزاً بين الناس بل وضع للأمور في موضعها وعلاج صحيح للمسألة، ومثلاً أوجب الإسلام على الرجل الجهاد وصلاة الجمعة بينما لم يوجبها على المرأة، فلا يقال هنا بأن الإسلام قام بعملية تمييز لحساب المرأة على الرجل، إذ طبيعة جسديهما وطبيعة الأعمال التي أنيطت بهما في الشرع تقتضي هذا الاختلاف في الأحكام. ولما أوجب الزكاة على الغني دون الفقير، وأوجب الضريبة عند الحاجة على أغنياء المسلمين دون فقرائهم، لم يميز الفقراء على حساب الأغنياء، إذ أمر بإخراج المال مرتبط بامتلاكه والقدرة على إخراجها، فلا يصح أن يفرض إخراج

يمكن أن يرضى بأن يضع مقاليد أموره في يد شخص لا يعتنق الفكرة التي يقوم عليها هذا النظام. هل يقع في خيال أحد - على سبيل المثال - أن يُسند في الاتحاد السوفياتي منصب سياسي مهم - دع عنك منصب رئاسة الدولة أو الحكومة - إلى شخص لا يؤمن بالشيوعية عقيدة ونظاماً؟ بالطبع لا. وهذا أمر منطقي لأنه ما دامت الفكرة الشيوعية هي القاعدة التي يقوم عليها النظام السياسي، فإن الأشخاص الذين يؤمنون بأهداف هذه الفكرة هم وحدهم الذين يمكن الاعتماد عليهم في قيادة الشعب نحو تحقيق غاياتها السياسية والإدارية». بل تذهب كثير من النظم العلمانية في الغرب أبعد مما ذكر، إذ تمنع الذي لا يؤمن بالمبادئ العلمانية الديمقراطية من أن يكون موظفاً من موظفي الدولة كأن يكون معلماً أو أستاذاً جامعياً، وتشتترط على الموظفين القبول بالمبادئ الديمقراطية وحفظها، وتلزمهم أن يقسموا على ذلك من أجل القبول بتوظيفهم. بينما يقصر الشرع اشتراط الإسلام في المناصب التي تقضي طبيعتها بأن يتولاها من يؤمن بالإسلام. أما الوظائف الأخرى فلا يشترط في موظفي الدولة أن يكونوا مسلمين، بل يجوز لأهل الذمة شغل هذه الوظائف مع أنهم لا يؤمنون بالإسلام وهو الأساس الذي قامت عليه الدولة. واشترط الشرع كذلك في الأحزاب

أحكام الإسلام ورعاية الشؤون وفق الأحكام الشرعية وبين حمل الدعوة الإسلامية إلى غير المسلمين في الخارج، وهذه الأعمال تقتضي طبيعتها أن يكون القائم بها مؤمناً بالإسلام عقيدة وشرعية، إذ لا يتصور أن يطبق الإسلام ويحمله دعوة للعالمين من لا يؤمن به. وقل مثل ذلك في القاضي، فإن القاضي يفصل الخصومات بين الناس حسب أحكام الإسلام وينطق بالحكم الشرعي على سبيل الإلزام، فلا يتصور أن يقوم بمثل هذا العمل من لا يؤمن بالإسلام، ألا ترى أنه لما كان القاضي الذي يقضي بين غير المسلمين في أمور زواجهم وطلاقهم وفق أحكام دينهم، لا يقضي حسب أحكام الإسلام فإنه جاز أن يكون غير مسلم، بل حرم أن يكون مسلماً. يقول الأستاذ محمد أسد في كتابه (منهاج الإسلام في الحكم): «إننا يجب ألا نتعامى عن الحقائق، فنحن لا نتوقع من شخص غير مسلم مهما كان نزيهاً مخلصاً وفياً محباً لبلاده متفانياً في خدمة مواطنيه أن يعمل من صميم فؤاده لتحقيق الأهداف الأيديولوجية للإسلام، وذلك بسبب عوامل نفسية محضة لا نستطيع أن نتجاهلها، إنني أذهب إلى حد القول إنه ليس من الإنصاف أن نطلب منه ذلك، ليس هناك في الوجود نظام أيديولوجي، سواء أقام على أساس الدين أم على غير ذلك من الأسس الفكرية،

السياسية أن تكون قائمة على أساس العقيدة الإسلامية، وأجاز تعدد هذه الأحزاب تبعاً لاختلافها في الاجتهادات، وبالنظر في واقع الأحزاب يتبين أنها تنظيمات يؤمن أفرادها بفكرة يريدون تطبيقها في واقع الحياة، ولما كانت الدولة الإسلامية قائمة على الإسلام وتطبق أحكام الشرع، فإنه من غير المتصور القبول بقيام أحزاب تطرح برامج ومشاريع غير قائمة على الإسلام وتسعى إلى تطبيقها لأن هذا يعني بالضرورة هدم الدولة وهدم الأسس التي قامت عليها. وتبعاً لذلك فإنه لا يتصور أن يقوم على أمر الأحزاب أو يشارك فيها من لا يؤمن بالإسلام عقيدة وشرعية؛ لأن هذا يتناقض مع دينه وقناعاته. وفي البلاد الغربية العلمانية يشترطون في الأحزاب حتى يُعترف بها كأحزاب سياسية رسمية، وتستطيع المشاركة في الحياة السياسية، يشترطون أن تقوم على أسس علمانية ديمقراطية، ويمنعون قيام أحزاب على غير هذه الأسس. وفوق ذلك فإنها تضع كل شخص لا يؤمن بالديمقراطية وينشط فكرياً أو سياسياً تحت المراقبة والمساءلة وتضييق عليه في أبواب الرزق. وأوجب الشرع الجهاد على الرجال المسلمين ولم يوجبه على أهل الذمة، إذ الجهاد هو است فراغ الوسع في قتال الكفار لإعلاء كلمة الله، ويدخل فيه القتال لحماية الديار، ولما كان أهل

الذمة كفاراً فإنه لا يستقيم أن يكلفوا بالجهاد لإعلاء كلمة الإسلام؛ لأن هذا لا ينسجم مع دينهم وعقيدتهم، وقد يقودهم إلى قتال أبناء دينهم من أعداء المسلمين. ومع أن الإسلام لم يوجب عليهم الجهاد فإنه أجاز لهم أن يقاتلوا في صفوف الجيش الإسلامي إن قرروا هم ذلك بمحض إرادتهم دون إكراه، خصوصاً إذا كان القتال من أجل حماية الديار وحفظ الأوطان. ولما كان المسلم مأموراً بالجهاد وتقديم ماله ونفسه في سبيل الله مع ما ينبني على ذلك من حماية الديار ورعايا الدولة الإسلامية ومنهم أهل الذمة والذب عنهم ولم يكن الذمي ملزماً بالجهاد، فقد فرض الإسلام على الذمي مالاً يؤديه القادر من الرجال مرة في السنة مقابل توفير الحماية له ولعِياله، ولم يوجب على المسلم دفع هذه الضريبة المسماة جزية إذ المسلم ملزم بأكثر منها بكثير بسبب إلزامه بالجهاد.

وهكذا لو تتبعنا الأحكام الشرعية التي اشترط فيها الإسلام لوجدناها جميعها من هذا الباب، بل هناك كثير من الأحكام الشرعية التي أعطيت بمقتضاها أهل الذمة ما لم يعط المسلمون من الحقوق، ولكن ذلك أيضاً ليس من قبيل تمييز أهل الذمة على حساب المسلمين، بل هو من باب مراعاة وصفي الإسلام والكفر لمساهما بالمسألة، فقد أوجب الشرع على المسلم الزكاة

ولم يوجبها على الذمي؛ لأنها عبادة ولا يصح إلزام الذمي بالعبادة، وأوجب على المسلمين دفع ضرائب عند الحاجة إليها ولم يوجبها على أهل الذمة اكتفاء منه بما يجب عليهم من الجزية، وأجاز للذمي أكل الخنزير وشرب الخمر وحرّم ذلك على المسلم ورتب عليه عقوبة. وغير ذلك من الأحكام التي يبدو عند عدم التعمق في فهم واقعها أنها تعطي حقوقاً للذمي أكثر من المسلم، ولكنها في الحقيقة لا تميز بين الناس بل تعطي الحقوق تبعاً لأوصاف لها أثر في إعطاء الحق. وهذا ليس مقتصرًا على وصفي الكفر والإسلام، بل هناك أوصاف كثيرة رتب الشرع عليها اختلافًا في الأحكام، فالمسلم غير العدل لا يجوز أن يكون حاكمًا أو قاضيًا لأن من شروط الولاية والقضاء العدالة إذ لا يقومان إلا بها، فمن فقدوها فقد بذلك حقه فيهما، ولكن هذا ليس تمييزاً بين الناس.

فالإسلام لا يفرّق في الحقوق حيث لا مدخل لوصفي الإسلام والكفر ولغيرهما من الأوصاف، وحيث تكون إنسانية الشخص هي مدار البحث، فقد جعل الإسلام حق العيش الكريم وتوفير المسكن والملبس والمأكل والعمل والعلاج، وحسن المعاملة والتسوية أمام القضاء وفي رعاية الشؤون وكل ما هو من هذا القبيل، جعل ذلك كله لرعايا الدولة كلهم: مسلمين وغير مسلمين،

ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً. وبمناسبة الحديث عن التمييز، فإن فكرة التمييز في الغرب وفي الدول العلمانية فكرة ضبابية غير محددة، وتستعمل كثيراً في غير موضعها، إذ لا يمكن أن يكون رفض التمييز يعني التسوية بين الأفراد في كل شيء وعلى كل صعيد، فإن ذلك إضافة إلى كونه خطأً من ناحية فكرية، فهو غير ممكن واقعاً. فلا يصح التسوية بين العالم والجاهل في باب العلم والفضل، ولا بين الصغير والكبير في باب الاحترام والتقدير وخبرة الحياة، ولا بين المتخصص وغير المتخصص في باب البحث. ولا بين الذكر والأنثى في باب الحضانة ورعاية الأطفال والقوامة على الأسرة، أو في باب القتال والجهاد، بل التسوية تكون في الإنسانية؛ لأن هذه الناحية هي التي لا يجوز التفريق فيها. ولأن الغرب لم يستطع ضبط هذه المسألة فقد أدت المطالبة مثلاً بعدم التمييز بين الرجل المرأة عنده إلى مصائب في المجتمع وتدمير الأسرة؛ لأنه ظن أن عدم التمييز يعني جعل الرجل كالمرأة والمرأة كالرجل، وهذا مستحيل لأنهما مختلفان. فالتسوية بينهما من كل وجه ظلم لهما وهدر لما ميز الله به كل واحد منهما عن الآخر. أما من حيث إنسانيتهما فإنهما ولا شك سواء، ولا يجوز التمييز بينهما. □

الأمة بين تجار الدين والمخلصين

عبق الجنان

أكناف بيت المقدس - فلسطين

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ خَلَقَ الْخَلْقَ لَمْ يَخْلُقْهُمْ عَبَثًا، فَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ وَالرَّسَالَاتِ يَهْدُونَهُمْ لِلْحَقِّ وَيُرْشِدُونَهُمْ إِلَى طَرِيقِ الصَّوَابِ الْمَوْصِلِ لْخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمَا يَحْمِلُونَهُ مِنْ أَنْظِمَةٍ وَإِرْشَادَاتٍ وَتَوْجِيهَاتٍ.

ولما كان البشر متفاوتين طبيعةً في استجابتهم لأوامر ربهم واجتنابهم لنواهيه وإقبالهم على تنفيذ شرائعه، كان من الطبيعي أن تتراوح حياة الأمم بين فترات انتكاسات تهبط فيها إلى أشد درجات ضعفها، وفترات قوة ترتفع فيها إلى أعلى المراتب بصورة تتناسب مع قوة تمسكهم بما أنزل عليهم ربهم وقوة تطبيقهم لشرعه. ولما كان الإسلام هو خاتم الرسالات، ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، فإن الإسلام كان هو حجة الله على البشر إلى قيام الساعة، وكان هو وحده الصالح لحل مشاكلهم التي تصيب مجتمعاتهم؛ وذلك مصداقاً لقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، وقوله: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾، فهو وحده الحق الذي يزهد الباطل ويمحقه ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

إن الإسلام، وهو دين عالمي جاء لتنظيم جميع مجالات الحياة وشؤونها، كما جاء لحل مشاكل الفرد ومعالجتها، كذلك جاء لحل مشاكل الجماعات ولتنظيم شؤون المجتمعات وفق منظومة تشريعية فريدة من نوعها، أمر فيها بوجود حزب سياسي يداوي أمراض أمتة فيدعو للإسلام كمبدأ

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١١٠) ولعمري إنها من نعم الله العظيمة على عباده المخلصين أن أكرمهم ربهم فقال في حقهم «المفلحون» فقد تكفل لهم بالفلاح وبين لهم طريقه وسبيله: دعوة إلى الخير وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر بما تحدثه من تغيير

ربها في ظل دولة تطبقها حق التطبيق. ولكن ليس كل من تسمى باسم كان له منه نصيب، وما كل من عمل بالسياسة عمل لصالح أمته، وإلا لهانت مصيبتنا وكان العود إلى حظيرة الإسلام أقرب من طرفة عين. فقد ابتليت الأمة إضافة إلى حكامها بلفيف لف لفهم وسار على نهجهم في موالاة الغرب والسير في ركابه وابتغاء العزة من عنده، ضاربين بعرض الحائط قول الفاروق عمر «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمتى ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله»، ظانين أن الشريعة كما العلوم يجوز أخذها من الغرب!

فهؤلاء مثلهم كمثل الأطباء التجار الذين يهولون على المريض داءه ويعظمون له مرضه حتى ليظن أنه لن يبرأ من سقمه؛ فطمعاً بالربح الذي سيجنيه من وراء هذا المسكين يدفعه لإطالة مدة العلاج.

حديثنا هنا ليس عن هؤلاء الأطباء التجار بل عن تجار الدين الذين لا يزالون حتى اليوم - ونحن على أبواب الخلافة الراشدة - يهولون على الأمة مرضها ويرون أنها عاجزة ضعيفة ولا تتقبل فكرة الحكم بالإسلام الذي هو دواء دائها وآلامها، ثم هم لا يزالون يجربون فيها أنظمة الغرب وقوانينه.

للمجتمع غير الإسلامي حتى يصبح إسلامياً في جميع علاقاته وأنظمتها، وهذا لا يستطيعه ولا يقوى عليه إلا تلك الأمة (الحزب السياسي) التي تقوم بهذه الأعمال الجليلة فترضي رب العزة بتغيير المجتمع من حالة المرض إلى حالة العافية؛ ليعود سليماً معافى قادراً على أداء وظيفته الأسمى: نشر رسالة الإسلام.

وهذا ليس بمندوب بل هو فرض وتاج الفروض، إذ إن طبيعة العمل واجب، أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وإن الله عز وجل قد أتبع فاعل العمل بمدح ليدل بطبيعته وبالقرينة على أنه فرض لا مندوب. وهو سبحانه قد ذم من يخالف ذلك فقال ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١٧)

أجل فوظيفة المسلم الأسمى هي أن يحمل الإسلام وأن يعمل لنهضة أمته، وإن الأصل في المسلم أن يكون حاملاً لهم أمته سياسياً يكافح لمداداة أوجاعها بشفاء الصدور بمنهاج رب العالمين. فهو كالطبيب اختصاصه مداواة جراح المسلمين والعمل على إزالة الآلام عنهم وإعادة الهناء والعافية لأجسادهم التي أضناها العيش بعيداً عن دينها وشرعة

فهؤلاء كمن يقول لمريضه أنت لست مستعداً لأخذ الدواء الذي يشفيك! لذلك جرّب هذه الأدوية لعلها تشفيك! وهؤلاء إما أنهم يجهلون الإسلام ولا يفقهون السياسة، أو أنهم تجار دين باعوا دينهم بدنيا الغرب. وهؤلاء في كلتا الحالتين لا يصلحون لمداواة الأمة. فالطبيب الذي يجرب بمرضاه فاشل، والأمة يجب أن لا تعطي قيادتها لجاهل ولا لعميل، وأن لا تقبل إلا صادقاً يقودها من عليّ إلى أعلى، ويرتفع بها من شاهق إلى شاهق. فالأمة وعلى مدار واحد وتسعين عاماً قد ذاقت من صنوف الأذى والويلات ما ذاقت: قتل وسجن وتشريد وتككيل، فقر وفساد وتخلف عن ركب المدنية والحضارة، وذل وهوان أمام أراذل البشر من الصليبيين ويهود والبوذيين وغيرهم، فقد تكالبت عليها الأمم وتداغت تداعي الأكلة إلى قصعتها. وهي خلال هذه المدة قد ملّت التجارب وزهدت وعرفت المجرب بها من الحكيم العارف لما يفعل.. أجل فالأمة رغم كل جراحها ونكباتها صارت تعرف التاجر الذي يغشها من الناصح لها، ولم تعد تتطلي عليها الخدع ولا عادت تغريها الكلمات المعسولة، وصارت تأبى أن تدفع من دمها وعافيتها ثمناً لهؤلاء «الأطباء». الذين انكشفت وجوههم وسقطت أقنعتهم

وما عاد الذئب يبدو في عيون الأمة إلا ذئباً، وأزيلت بفضل الله صورة الحمل الوديع التي رسمها الغرب في عيون الأمة عن حكامها ومن والاهم من الحركات «الإصلاحية» الترقيعية والتي تدعو لكافة أشكال العذاب وكافة ألوان أنظمة الغرب ولكن بمرجعيات إسلامية ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ والذين يرضون بأن يكون الاسلام -والعياذ بالله- مرجعية للكفر مثل الدولة المدنية العلمانية والديمقراطية الكافرة. يقال في عالم الطب إن من أول بؤادر شفاء المريض أن يقتنع بأنه مريض، ومن ثم أن يوافق على أخذ العلاج. والأمة عرفت مكنم دائها، وبوجود الطبيب الماهر عُرف دواؤها. فرغم وجود التجار فيها إلا أن الخير باقٍ في أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) ليوم الدين، وذلك كما قال عنها نبيها ومعلمها «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطْرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ». [الترمذي عن أنس]. إذ الأمة فيها ثلة طلائعية واعية، تسير بها ومعها نحو بر الأمان لحياة لا أمراض فيها ولا أسقام تضنيها، وهو حزب التحرير، وهو بحمد الله قد وضع يده على سبب الداء ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾. وهو

-ولله وحده المنة والفضل- يعمل لتتعاوى الأمة كما قال أميره المؤسس تقي الدين النبھاني رحمه الله: «إن أنا إلا شيخ يطلب الدواء» ودواؤنا هو الحكم بكتاب ربنا الذي به تعود للأمة مكانتها وترجع إلى وظيفتها التي لأجلها وجدت، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾. نعم، تخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وتحمل الإسلام رسالة للعالمين بالدعوة والجهاد. ولأن الطبيب الصادق المخلص لا يألو جهداً في مداواة مرضاه، ولا يضيع وقته في العبث بينما أمته تتوجع، بدأ حزب التحرير يعطي الأمة جرعات العلاج بشكل ممنهج دقيق وفق طريقة شرعية: ثقافة حزبية مستقاة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، حتى بدأت بوادر الشفاء تظهر عليها. وهي اليوم أقرب للتعافي رغم وجود مظاهر الألم على محيّاها، لكنه ألم مخاض ما قبل ولادة مولودها الذي انتظرت طوال هذه السنوات العجاف، الا وهو مولود الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، التي ستحمي الأمة وتزود عنها. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما الإمام جنة. يقاتل من ورائه. ويتقى به» صحيح مسلم.

للأبحاث أن معظم المسلمين حول العالم يؤيدون تطبيق الشريعة، وأظهر أن غالبية المسلمين متعلقون جداً بإيمانهم، ويريدون أن تستند حياتهم الشخصية ومجتمعاتهم والسياسة إلى تعاليمه، كما يؤمنون أن الإسلام هو الديانة الحقيقية التي تؤدي إلى الحياة الأبدية في الجنة. وما هذه الأرقام إلا نزر يسير من الحقائق التي تنطق بها الوقائع على الأرض من شمال الأرض لجنوبها، ومن شرقها إلى غربها، حيث تهتف حناجر المسلمين وقلوبهم «الأمة تريد خلافة إسلامية» وفيها الطبيب الذي يمكنه أن يقودها ويصل بها إلى بر الأمان في ظل خلافة راشدة على منهاج النبوة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكرم هذه الأمة بإقامة الخلافة الرشدة الثانية، ويكرم حزب التحرير وأميره عطاء بن خليل أبو الرشته بأنصار ينصرونه كما نصر الأنصار الأوائل رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنه مولى ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. قال تعالى: ﴿...وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّحُ الْمُؤْمِنُونَ ۖ ۞٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ ۞٥ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۖ ۞٦ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ۖ ۞٧ ﴿٧﴾ □.

ففي استطلاع نشره مركز (بيو)

بسم الله الرحمن الرحيم

التجارة الرابعة مع الله

شاهر أبو عبد الرحمن أبو الفيلات
الخليل - بيت المقدس

الحمد لله رب العالمين، رب السماوات والأرض وما بينهما، لا إله إلا هو، عليه توكلت واليه أنبت واليه المصير، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين.

والأخير رضاه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۖ لِيُوفِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ فسبحان الله الذي وهبنا ما نتاجر به معه، ثم وفقنا إلى التجارة معه، وتفضل علينا بها، ثم هو يُعطينا أجر تلك التجارة كأحسن ما يكون الأجر والجزاء، فهو خير أجر في خير تجارة، ثم هو يزيدنا من فضله فوق أجورنا، ويضاعف لمن يشاء.

فلو تأملنا عظيم منته وكرمه، وجزيل عطائه وفضله؛ لعلمنا كم نحن مقصرون في جنبه، ولعلمنا أننا نتاجر معه بما وهبنا، وأنه ليس لنا من أنفسنا

أما بعد، فهذه الكلمة نخص بها أنفسنا لأننا حملة الدعوة، وحملة الدين، والأمناء على شريعة الله رب العالمين الذين يحملون هم الإسلام، ويواجهون الظالمين في كل مكان لإقامة شرع الله على وجه هذه الأرض، ولتحقيق ذلك لابد أن يكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى حتى تكون التجارة رابحة معه.

لا يشك مسلم في أن أعلى أنواع التجارة هي التجارة مع الله، تجارة سلعتها الطاعات وثمنها الحسنات يُضاعف من حسنة إلى عشر إلى سبعمائة وأكثر. والذين يجيدون هذه التجارة الرابعة هم من عرفوا الله فخشوه، فرقت له قلوبهم، ودمعت من خشيته عيونهم، ولم تنقطع به قط صلّتهم، وكان ما بينهم وبينه دائماً عامراً، وكان همهم الأول

الله سبحانه وتعالى للتجارة معه تجارة لا تخسر ولا تبور. يبيع فيها المؤمن نفسه وماله لله سبحانه، والله يشتري الأنفس والأموال من عباده المخلصين الصادقين المؤمنين، والسلعة هي الجنة «ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» وإنه لجزاء كبير، وفوز عظيم، يتحصل عليه المؤمن المجاهد بنفسه وماله في الآخرة، أمّا في الدنيا فيبشر الله هؤلاء المخلصين بالنصر القريب منه، وإنما قال سبحانه: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾؛ لأنها غير داخلية في الفوز العظيم، وإنما هي من فوز الدنيا الذي يمتن الله به على عباده الباحثين عن فوز الآخرة؛ ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن كانت الآخرة همّة جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة».

فعلينا أن نقدم أنفسنا وأموالنا إذا أردنا أن نتحصل على ما نبغي من رضى الله سبحانه وتعالى، ومن جنات تجري من تحتها الأنهار. ومن ذلك أيضاً قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٢٠٧) وقد روي أن هذه الآية نزلت في صهيب الرومي حين أقبل مهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلحقه نفر من قريش، فنزل عن راحلته، وأخرج ما في كنانته،

شيء، وأن ما استحقاقه من تجارتنا معه ليس حقاً لنا ابتداءً وإنما كان بفضل، ولعلمنا أنه ينبغي علينا ألا نكون إلا في طاعته وعبادته على الدوام.

إن الله الخالق اللطيف الخبير هو سبحانه يعلم عجزنا عن مؤافاته حقه، وعجزنا عن شكر ولو نعمة واحدة من نعمة التي لا تُعد ولا تُحصى، ويعلم ضعف هممتنا إلى الخير ومسارعتنا في الشر؛ فجعل لنا السنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ويزيد، وأدّخر لنا في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهذا معنى قوله: «شكور»؛ أي: يقبل القليل، ويجازي به الكثير، وجعل السيئة بسيئة واحدة، وتودد إلينا بقبول التوبة، ومغفرة الذنوب، وهذا معنى قوله: «غفور»، فسبحانه من عدل كريم.

يقول المولى سبحانه وتعالى في محكم التنزيل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تُنَجِّكُمْ مِنْ عَذَابِ الْإِلْمِ ۖ ۝١٠ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ بَعَثَ لَكُمْ دُرُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيَسِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٣﴾

أيها الأخوة الكرام: إنها دعوة من

أَشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْنِلُونُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَيُقْنِلُونَ وَيُقْنِلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى
بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ
الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣١﴾

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية:
«ثم هي بعد ذلك عامة في كل مجاهد
في سبيل الله من أمة محمد - صلى الله
عليه وسلم - إلى يوم القيامة»

فكل من جاهد في سبيل الله
فقد باع نفسه لله سبحانه، وكذلك
الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر، والذين يعملون لنشر دين الله،
والذين يعملون على نصره دين الله عز
وجل وإعزازهم... فكل هؤلاء تعمهم الآية
وينطبق عليهم أنهم ممن يبيعون أنفسهم
لله.

يقول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ
كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ
تَبُورَ ﴿٢١﴾﴾ فذكر الصلاة والزكاة،
وكذلك فإن كل عمل في الإسلام داخل
في مسمى التجارة، ويقول سبحانه وتعالى
في صفة هؤلاء المتاجرين معه الرباحين
بفضله: ﴿التَّائِبُونَ الْعُقَدُونَ
الْمُحْسِنُونَ الْمُسْتَبِحُونَ الرَّكَعُونَ

وَأَخَذَ قَوْسَهُ وَقَالَ: وَأَيُّمُ اللَّهِ، لا تصلون
إليّ حتى أرمي ما في كنانتي ثم أضرب
بسيفي ما بقي منه شيء، ثم افعلوا بعد
ذلك ما شئتم. فقالوا له: لا نتركك
تذهب عنا غنياً وقد جئتنا صعلوكاً لا
مال لك، ولكن دلنا على مالك لنخلي
سبيلك، وعاهدوه على ذلك ففعل، فلما
وصل المدينة نزل قول الله سبحانه:
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ
مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٧﴾﴾
فاستقبله الحبيب صلى الله عليه وسلم
قائلاً: «ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع
أبا يحيى».

وذكر أصحاب السير أن الأنصار
رضوان الله عليهم لما اجتمعوا عند العقبة
ليبايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم
بيعة الحرب على أن ينصروه ويمنعوه
ليسلموا له الحكم في المدينة المنورة قال
له عبدالله بن رواحه رضي الله عنه: يا
رسول الله، اشترط لربك ولنفسك ما
شئت. فقال عليه وآله الصلاة والسلام:
«أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا
به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني
مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم»،
فقالوا: يا رسول الله، وما لنا إن
فعلنا؟ فقال عليه وآله الصلاة والسلام:
«الجنة» قالوا: ربح البيع، لا نكيل ولا
نستقيل. فنزل قول الله سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ

السَّحْدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ
لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾
فهذه كلها من أنواع المتاجرة مع الله.

ومثل آخر من أفعال الصحابة الذين
نصر الله هذا الدين على أيديهم، عن ابن
مسعود قال: لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ
اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال أبو الدحداح: وإن الله
يريد منا القرض؟ قال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم: «نعم يا أبا الدحداح».
قال: ناولني يدك، فناولته صلى الله عليه
وآله وسلم يده: قال: فإني قد أقرضت
ربي حائطي -حائطاً فيه ستمائة نخلة-
ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم
الدحداح فيه في عيالها، فنادها: يا أم
الدحداح، قالت: لبيك. قال: أخرجني من
الحائط فإني قد أقرضته لربي، فقال
النبي ﷺ: «كم من عنق رداح لأبي
الدحداح».

أيها الأخوة: إن الله نصر هذا الدين
على أيدي أمثال هؤلاء من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم. فالمطلوب
اليوم رجال أحباب كهؤلاء الأصحاب
يبيعون أنفسهم لله ويشترون الجنة.

وكان المنادي ينادي: هل من بائع
نفسه لله بعمل لإعزاز دينه ولإقامة دولة
الإسلام التي يطبق فيها شرعه؟ هل من
متاجر مع الله تجارة تتجيه من عذاب

أليم يرى عاقبتها يوم لا ينفع مال ولا
بنون إلا من أتى الله بقلب سليم؟ هل من
متاجر مع الله يعمل لرفعة دينه ونصرة
نبيه صلى الله عليه وآله وسلم؟ هل من
طالب لرضى الله سبحانه يتشوق لأن
يقول الله سبحانه وتعالى له يوم القيامة:
عبي، رضيت عنك فلا أسخط عليك
أبداً؟ هل من مشتر لجنة عرضها
كعرض السموات والأرض؟...

فيا حملة الدعوة، يا حملة الإسلام،
يا طلاب الخلافة، يا من تسعون لإقامة
الدين، لقد سبقتم الناس جميعاً إلى
مقارعة الظالمين ومواجهة الكافرين
ونصرة الدين، فلا يقبل أحد منكم أن
لا ينتفض من تحت الركाम ويسعى سعي
المخلصين، ويدفع دفع المؤمنين، ويقبل
إقبال المسبحين لله رب العالمين... وعليه
أن يدرك أنه في نيابة عن سيد الخلق
محمد خاتم النبيين، يحمل هم الإسلام،
ويريد أن يصبغ الناس بصبغته، ويدعو
الناس بدعوته. فهل يتناقل من علم أنه
نائب عن محمد صلى الله عليه وسلم إن
كان صادقاً؟

فيا حملة الدعوة، يا حملة الدين،
يا من أردتم خلافة الإسلام، وأردتم
إقامة دين الإسلام في الأرض،

إن كنتم تخشون الله رب العالمين

الجنة، قال تعالى: ﴿فَأَسْتَبْشِرُوا بِيَعْيَكُمْ
الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾.

أيها الناس يا أنصار محمد، يا
حملة لواء الدين، أجيئوا: احملا
همَّ الدين، وكونوا في ذلك على سمت
الصحابة رضوان الله عليهم حتى
يكرمكم الله عز وجل بالخلافة
الراشدة، بالخلافة على منهاج النبوة
التي وعد بها عباده المتقين.

اللهم اقبل تجارتنا معك يا رب
العالمين. اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا
في أمرنا. اللهم اجعلنا من عبادك
الصالحين المصلحين، المخلصين
المخلصين. اللهم اغفر لنا وراحمتنا واعفُ
عنا وأكرمنا بالنصر. اللهم إنا نعوذ بك
من الشقاق والنفاق، ونعوذ بك من سوء
الأدب والأخلاق. اللهم انصر الإسلام
والمسلمين. اللهم في الشام وفي كل
مكان، يا رحمن، يا حنان، يا منان،
يا قوي، يا عزيز. اللهم عليك بطاغية
الشام. اللهم عليك بطاغية الشام وبكل
طغاة المسلمين من الحكام. اللهم إنا
نجعلك في نحورهم. اللهم عجل بفرجك
ونصرك، محبةً بدينك، ورغبةً في
إعلاء كلمتك، ونشر دينك، وكرهاً
بالكفر وطغاته وجابرتها إنك قريب
سميع مجيب. □

وتعظمونه، فأروا الله سبحانه وتعالى من
أنفسكم ما يرضيه عنكم، وأجيئوا
داعي الله فلا تعطوا دعوتكم فضول
أوقاتكم، ولا فترات أموالكم، ولا
القليل من جهودكم... وأنتم تطمحون
إلى أن تفتحوا روما، وتسعون إلى أن
تلبسوا البشرية لباس الدين، بعز عزيز
وذل ذليل، أتسعون في هذا الشرف
العالي، وتعهدون الله عز وجل على
المعالي، وأنتم لا تبدلون المهج إلا لماماً؟
ألا فلتقبلوا على الله، ولتتصروا دينه إن
كنتم تريدون تطهير البشرية من ظلم
الرأسمالية وعنفها.

أيها الأخوة: اعملوا على طلب
رضى ربكم واستعدوا للقاءه بكثرة
الصلاة والالتزام بالسنن والنوافل
وبقراءة القرآن وذكر الرحمن، وابدلوا
جهدكم في العمل لإقامة دولة الإسلام
عسى الله سبحانه أن يغفر لنا ويرحمنا
ويعزنا وينصرنا، واجعلوا استجابتكم
للتجارة مع مولاكم، كذاك الأعرابي
الذي سمع قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ
لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ فقال: كلام من هذا؟
ف قيل له: هو كلام الله. فقال: بيع والله
مربح، لا نقيه ولا نستقيه، فذهب إلى
الغزو فاستشهد، وتذكروا أن الله وعد
المؤمنين الذين يبيعون أنفسهم بأن لهم

تَقْدَامُ أَمْرُ دَعَاةِ الْخَلَاةِ أَمْرًا عَظِيمًا

عبد الرحمن المقدسي (تراب) - بيت المقدس

يَابْنَ عَمَّ. فَأَجَابَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
لَا رَاحَةَ بَعْدَ الْيَوْمِ يَا خَدِيجَةَ.

فَالْأَمْرُ فِي نَظَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْسَبَ فِيهِ
لِلرَّاحَةِ حِسَابًا. فَثَقُلَ هُمُّ الدَّعْوَةِ كَثَقُلَ
حَمْلِهَا، نَقِيزَانِ لِلرَّاحَةِ، إِذَا أَدْرَكَ حَامِلُ
الدَّعْوَةِ مَسْئُولِيَّاتِهِ فِي الدَّعْوَةِ، وَاسْتَشْعَرَ
عَظَمَ الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ بِصَدْدِهِ.

وَالثَّبَاتُ عَلَى حَمْلِ الدَّعْوَةِ أَيُّهَا
الْأَخُوَّةُ، أَنْ يَسْتَمِرَّ حَامِلُ الدَّعْوَةِ فِي
حَمْلِهَا دُونَمَا كَلَلٍ أَوْ مَلَلٍ، وَأَنْ يَصْبِرَ
عَلَى شِدَائِدِهَا، مَهْمَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ
الشَّدَائِدُ وَتَنَوَّعَتْ، فَقَدْ تَكُونُ نَفُورًا مِنْ
النَّاسِ، وَقَدْ تَكُونُ مَلَاةً مِنَ السُّلْطَةِ،
وَقَدْ تَكُونُ مَحَارَبَةً وَتَضْيِيقًا فِي الرِّزْقِ،
وَضَنْكٌ فِي الْعَيْشِ، وَقَدْ تَتَعَدَّى ذَلِكَ كُلَّهُ
فَتَكُونُ الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ.

وَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ هُوَ الْقُدْوَةُ لَنَا، بِهِ نَتَأَسَّى وَبِهِدَاهِ
نَسْتَرْشِدُ، وَلَمْ يَزَلْ صَحَابَتُهُ هُمُ الْمَثَالُ
الصَّادِقُ لِحَمَلَةِ الْإِسْلَامِ، نَسْرِي عَنْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الطُّوْلِ وَالْآلَاءِ، مَمِيتِ
الْأَحْيَاءِ وَمَحْيِي الْأَمْوَاتِ، وَمُبِيدِ الْأَشْيَاءِ
وَمُعِيدِ الْبَرِيَّاتِ، وَمَنْزِلِ الْقُرْآنِ وَمَجْزِلِ
الْعَطِيَّاتِ، مَجْرِي الْفُلْكِ، وَمَالِكِ الْمُلْكِ،
مَقْدِرِ الْأَجَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَاتِ،
وَمَحْصِي عِدَدِ الرَّمْلِ وَالْقَطَرِ وَالنَّبَاتِ.
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ
الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
الْأَتَقِيَاءِ... وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مَدْخُورَةً لَوَقْتِ الْمَمَاتِ.
وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ
الْأَنْبِيَاءِ وَأَفْضَلُ الْمَخْلُوقَاتِ. وَبَعْدُ:

الحمد لله القائل في كتابه الحكيم:
﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ ۖ قُرْ فَأَنْذِرِ ۚ وَرَبَّكَ فَكَبِّرِ ۚ ۝
وَبِابِكَ فَطَهِّرِ ۚ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرِ ۚ ۝ وَلَا تَمْنُنْ
تَسْتَكْبِرُ ۚ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرِ ۚ ۝﴾.

عندما رَأَفْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةَ بِنْتُ
خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِحَالِ الرُّسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ تَرَاهُ يَحْمِلُ
الرَّسَالََةَ الْجَدِيدَةَ لِقَوْمِهِ وَيَتَعَبُ وَيَكْدُ
وَيَلْقَى مَا يَلْقَى فِي حَمْلِهَا؛ قَالَتْ لَهُ: ارْتَحْ

يقارب أربعة عشر قرنًا من الزمان، إلى أن تأمر عليها الكفار وقاموا بهدمها وإلغاء نظام خلافتها عام ١٣٤٢هـ. وقاموا بتقسيم بلادها فيما بينهم، لامتصاص خيراتها واستعباد أهلها فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وبما أننا على طريق المصطفى ﷺ سائرون بدءًا بالتثقيف المركز ومرورًا بالتفاعل وانتهاءً باستلام الحكم وتطبيق الإسلام إن شاء الله، كان لزاماً علينا الشرب من النبع الصافي، والماء العذب الذي لا ينضب، النبع الذي شرب من مائه الصحابة الكرام الأطهار البررة، من محمد طَبَّ القلوب ودوائها ﷺ.

وسنقف بإذن الله تعالى مع حديث أبي سفيان بن حرب مع هرقل الروم: حيث جاء في صحيح البخاري: «حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّامِ، فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكَفَّارَ قُرَيْشٍ، فَاتَّوَهُ وَهُمْ بِإِلْيَاءٍ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عَظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ. فَقَالَ: أَيْكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ:

أنفسنا بسيرتهم العطرة، ونستصغر ما نقدمه تجاه ما قدموه، وما هذه الكلمة إلا وقفة يسيرة مع السيرة الطيبة للرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام رضي الله عنهم في مكة المكرمة، مهد الرسالة، وموضع التفاعل، وموطن اختبار الثبات على الدعوة وتحمل شدائدها، لنرى ونستهدي بسيرتهم وهم يعملون لإقامة دولة الإسلام التي كرمنا الله بالعمل لها، ونذرنا أنفسنا لتحقيقها. فقد قام صلى الله عليه وعلى آله وسلم بإعداد كتلة سياسية كان أفرادها رضي الله تعالى عنهم قرآنًا يسير على الأرض، صَقَلَتْ شخصياتهم بالإسلام، فكانت عقلياتهم عقليات إسلامية تفكر وتخطط وتقيس الأمور بمقياس الإسلام، وكانت نفسياتهم نفسيات إسلامية تُحِبُّ لله وتُبْغِضُ لله، وترضى برضى الله وتغضب لما يغضب الله، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله. وعلى أكتافهم قامت دولة الإسلام الأولى، وقد تعاهدها هؤلاء الكرام، بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ومن تبعهم، رضي الله عنهم، يسوسون الناس بالقرآن والسنة، ومقياس أعمالهم الحلال والحرام، وغاية غاياتهم رضوان الله عز وجل، وطريقة حملهم الإسلام للناس هي الدعوة والجهاد، حتى استمرت هذه الدولة ما

هَذَا الْقَوْلُ؟ فَذَكَرْتُ أَنْ لَا، فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتِسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، فَذَكَرْتُ أَنْ لَا. قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتُ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ. وَسَأَلْتُكَ: أَشَرَفَ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضَعَفَاؤُهُمْ؟ فَذَكَرْتُ أَنَّ ضَعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ. وَسَأَلْتُكَ: أَيْزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرْتُ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ. وَسَأَلْتُكَ: أَيْرْتَدُّ أَحَدٌ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتُ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرْتُ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ. وَسَأَلْتُكَ: بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ فَذَكَرْتُ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَأَكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ، ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دَحِيَّةً إِلَى عَظِيمٍ بَصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرْقَلٍ فَقَرَأَهُ

أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ أَذْنُوهُ مِنِّي وَقَرَّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ. ثُمَّ قَالَ لَتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَأَلْتُ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ، فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْتَرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ. ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ. قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَأَشَرَفَ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضَعَفَاؤُهُمْ؟ فَذَكَرْتُ: بَلْ ضَعَفَاؤُهُمْ. قَالَ: أَيْزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا. وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا، قَالَ وَلَمْ تُمْكِنِي كَلِمَةً أَدْخَلَ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ. قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سَجَالٌ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ. قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتَّرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَةِ. فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تَبْعُثُ فِي نَسَبٍ قَوْمِهَا. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ

فَإِذَا فِيهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتَبَعَ الْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلِمًا يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِن تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخْبُ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: ((لَقَدْ أَمَرَ أَمْرٌ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ))، فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيُظْهِرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ. صحيح البخاري.

عباد الله، جاء في المعاجم... أَمْرٌ أَمْرٌ: أي ارتفع شأنه وكثر واشتد. وكان المشركون ينسبون النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي كبشة، وهو رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان، وعبد الشعري العبور، فلما خالفهم النبي صلى الله عليه وسلم في عبادة الأوثان شبهوه به.

كلمة قالها أبو سفيان لأصحابه بعد أن رأى عظم الدعوة الإسلامية وارتفاع شأنها واشتداد عودها، تلك الدعوة التي خاطبت العقول والقلوب، مدوية في

جنبات الأرض مشارقها ومغاربها، حتى بات هرقل الروم أعظم ملوك الأرض آنذاك يخافه ويخاف دعوته ويحسب له ألف حساب، حتى وصل به الأمر أن يقول لأبي سفيان إنه لو كان عند محمد عليه الصلاة والسلام لغسل عن قدميه!

ونحن اليوم نقول: لَقَدْ أَمَرَ أَمْرٌ دَعَا الْخِلَافَةِ أَمْرًا عَظِيمًا، حتى بات ملوك الأرض وحكامها وقادتها ومن والاهم يحسبون لهم ألف ألف حساب، كيف لا؟ وما هم المجاهدون في سوريا عقر دار الإسلام يعلنون بكل صراحة جهاراً نهاراً أنهم يعملون لإقامة دولة الخلافة الثانية الراشدة على منهاج النبوة، وقد تعاهدوا فيما بينهم وبين دعاة الخلافة على ميثاق العمل لإقامة دولة الخلافة الإسلامية في سوريا، على أنقاض عرش بشار الهالك قريباً بإذن الله، وقام قادة الكتائب المجاهدة والألوية بالتوقيع على الميثاق معلنين بذلك هدف الثورة السورية رافضين كل طرح غير هذا الطرح، من مثل الدولة المدنية والديمقراطية، بل وتبنى الثوار مشروع الدستور لدولة الخلافة الذي قدّمه دعاة الخلافة.

كل هذا ليدل دلالة واضحة أن دعاة الخلافة قد أَمَرَ أَمْرَهُمْ أَمْرًا عَظِيمًا، وعلا شأنهم وذكرهم في شتى وسائل الإعلام مع ما تتعمده تلك الوسائل الإعلامية من طمسه ودفنه أو حرفه عن حقيقة الصراع في سوريا، الصراع بين

الإسلام والكفر.

فهذه البلاد العربية والإسلامية عَجَّ فيها المنادون والعاملون للخلافة وتطبيق الإسلام في سدة الحكم كتونس والباكستان ومصر واليمن وليبيا والأردن وباقي بلاد العالم حتى وصلت المطالبات إلى عقر دار الكفر، فهرع الغرب الكافر إلى إعلان النفير العام تجاه دعاة الخلافة في سوريا وسائر الدول، وما إدراج جبهة النصرة في سوريا على قائمة المنظمات الإرهابية من قبل مجلس الأمن الدولي إلا دليل على عداة أميركا ودول العالم لمشروع دولة الخلافة الإسلامية. وقد اشتركت الدول الكبرى جميعاً فيما يجري في الشام. وتململت جامعة الدولة العربية وتحركت، وأذنت لأميركا وانبطحت، وألقت ما فيها من حياء وتخلت، والمراقبين إلى الشام أرسلت، وما قَلِقَ نبيلها على أمر عربي قلقه على الشام وثورتها التي تفجرت. ثم بدأت الأمم المتحدة ودوائرها في نيويورك تتمطى، وتعد اجتماعات تترى، وترسل المبعوثين والمراقبين إلى الشام لإعطاء المهل لطاغيته لعله يثبت في وجه الإعصار ويبقى. ثم كشفت روسيا عن وجهها القبيح، وأمدت طاغية الشام بالدعم السياسي والعسكري الصريح، وأعطته الصواريخ من طراز (إس ٣٠٠)، وجمعت روسيا كيدها مع إيران وحزب الله وأتوا صفاءً، ولسان

حالمهم يقول: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى﴾. هذا هو منطق فرعون، وهذه هي لغته، ولكن الله سبحانه وتعالى كان له بالمرصاد، فأبطل سحره وفضحه وأغرقه وجنده، ثم نجّاه ببذنه ليكون لمن خلفه آية. وهكذا سيكون سقوط الطاغية وحلفائه وأسياده، مزلزلاً بإذن الله، كما زلزل الله فرعون وقومه، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب. ويضاف إلى هذا كله، حشود على جبهة الجولان، واستنفار للجيش المحيط بها والمجاورة لها، ورفع للحظر عن تسليح المعارضة بأسلحة غير فتاكة، وحراك سياسي محموم في تركيا لانتخاب رئيس للمعارضة، واشتداد لمعارك القصور وحلب وغيرها مع دخول مقاتلي حزب الله علناً في المعركة، وقرب اشتعال الساحة اللبنانية نتيجة الهزات الارتدادية لخروج مقاتلي حزب الله منه إلى الأراضي السورية، وحماس الدم في العراق، وبوادر التمرد على حكومة المالكي ومقاتلتها بالسلاح، وزيارة جون ماركين مرشح الرئاسة الجمهوري الأميركي إلى الشام ولقاءاته مع مقاتلي المعارضة من الجيش الحر، وتحركات رئيس النظام المصري وغيره من الرؤساء في العالم تشعر بأن حرباً عالمية ثالثة قد اندلعت، وستسفر عن قيام الخلافة بإذن الله، وتغيير معادلة السياسة الدولية بعد أن تتغير إقليمياً في عقر دار الإسلام

الشام.

الغرس قد آن حصاده، وإن الأرض دارت
كما كانت في عهد الرسالة حيث الروم
والفرس قد خالطهم هرم وشيخوخة،
وغرور بالنفس وعنجهية، إلا أن أعداء
الأمس كانوا على شرف وأخلاق أكثر
من أعداء اليوم الذين لا يعرفون خلقاً
أو فضيلة. وإن العنجهية تقتل صاحبها
مهما بلغ من قوة، وهذا واقع الكفار
في عالم اليوم، فاستبشروا، أيها
المسلمون، بظهور الغلبة عليهم، وعودة
الخلافة على منهاج النبوة، فتعودوا كما
كنتم خير أمة أخرجت للناس، وتعود
دولتكم، الدولة الأولى في العالم، تطبق
الإسلام بينكم، وتحمله للعالم بالدعوة
والجهاد، ناشرة الحق والعدل في ربوع
العالم، تفتتح روما وتطهر فلسطين من
رجس يهود، وعندها يرضى عنا ساكن
الأرض وساكن السماء، فالعمل العمل
لها من قبل أن يأتي يوم لا ينفع النادمين
ندمهم، وعندها لات ساعة مَندَمٍ، ولات
حين مَنَاصٍ.

فوالله الذي رفع السماء بلا عمد،
سنملك موضع قدمي أوباما إن شاء الله
زعيم أكبر دولة في العالم اليوم، كما
ملكنا موضع قدمي هرقل من قبل،
زعيم أكبر دولة في العالم آنذاك، وما
ذلك على الله بعزير.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾
وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ □

عباد الله، لقد صدق أبو سفيان
نفسه وقومه في رده على أسئلة هرقل
الروم حين سألته عن طهر وعفاف
وصدق وأمانة وأخلاق نبي الله محمد
صلى الله عليه وسلم، وحتى عن صدق
دعوته، فأبت نفسه حياء الكذب إلا أن
يقول صدقاً، ولو كان ذلك خلافاً مع
أفكاره ومعتقداته... فنقل الصورة على
حقيقتها دون تشويه أو تزييف. بعكس
حكام اليوم الذين استمرؤوا الكذب
والتزوير، لكن الله لهم بالمرصاد، وما
جاءوا به من السَّحَرِ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ، إِنَّ
اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ، وسينقلب
السحر على الساحر، وسيتحقق فينا
وعد الله ورسوله، فيما رواه أحمد
والبخاري عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ،
فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَسَيَبْلُغُ
مَلِكُ أُمَّتِي مَا زَوَى لِي مِنْهَا». حديث
صحيح. فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله
ورسوله، وصدق الله ورسوله.

أيها الناس، عباد الله: أختتم كلامي
بمقولة هرقل الروم حين تكلم عن النبي
صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان: «
فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ... فَلَوْ أَنِّي
أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ
كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ».

فالبدار البدار أيها المسلمون، والوفا
الوفا يا أصحاب الهمم العالية، فإن

أخبار المسلمين في العالم

سجن ضابط احتياط روسي لتنظيم خلية إسلامية مسلحة

ذكرت وكالة أنباء «نوفوستي» الروسية بأن المحكمة العسكرية في جزيرة ساخالين الروسية حكمت على ضابط احتياط في الجيش الروسي بالسجن عام ونصف العام لتنظيمه خلية لصالح الجماعة الإسلامية المحظورة المعروفة باسم «حزب التحرير»، وقد استخدم الضابط الروسي أتباعه بحسب الوكالة ليروج لأفكار حزب التحرير، الذي يسعى لإعادة إنشاء الخلافة الإسلامية، بالإضافة إلى تجنيد العديد إلى الخلية. وواجه الضابط تهماً تصل عقوبتها إلى السجن لمدة سبعة أعوام، لكن المحكمة حكمت بسجنه عام ونصف ودفع غرامة بمقدار ٠٥١ ألف روبل وتم فتح قضايا أخرى لأعضاء الخلية الآخرين. □

حزب التحرير: أميركا تتلاعب بالأمور في مصر ولا تأبه إلا بتحقيق مصالحها

أكد بيان لحزب التحرير إن أميركا هي التي تدير الحوادث المؤلمة في أرض الكنانة، فهي من وراء الأنظمة القائمة والسابقة... ولا يهتمها بكثير أو قليل من يخدم مصالحها في تحقيق هذا الأمر، سواء أكان اسمه حسني أم مرسي أم سيدي... وهي ستلقي به جانباً إن لم يحقق لأمرها مصالحها ويضبط الاستقرار لنفوذها! وأكد الحزب «إن الأسى ليملاً القلوب بأن تكون مصر التي قهرت الصليبيين وقهرت التتار وكادت أن تقهر كيان يهود لولا خيانة نظام الحكم في الكنانة، تكون مرتعاً لأميركا تتدخل فيها صباح مساء!» كما وجه الحزب نصيحة إلى أهل مصر قائلاً «أيها المسلمون في أرض الكنانة: إن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله: خلافة راشدة تجمعكم على الحق، ... فقطع عندها تعود مصر عظيمة بإسلامها، قوية بأبنائها، غنية بثرواتها، تقذف في جوف أميركا مساعداتها المسمومة، وتعود سيرتها الأولى قلعة إسلامية صلبة ينطلق جندها للجهاد والفتح، فتتشر الخير في ربوع العالم، وما ذلك على الله بعزيز». □

جهود خليجية وإسرائيلية لإضعاف هيمنة أميركا على الجيش المصري

نقلت صحيفة «وول ستريت جورنال» في تقرير لها نشرته على موقعها الإلكتروني، عن مسؤولين أميركيين، قولهم إن جهوداً وتحركات موازية من قبل (إسرائيل) والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة قد أضعفت النفوذ الأميركي على القيادة العسكرية في مصر، وأوضحوا أن الفوضى المبيتة في مصر قد سحبت (إسرائيل) هناك إلى الاصطفاف بشكل غير مسبوق مع الخليجيين الداعمين لانقلاب العسكر. في هذا الإطار وجه وزير الخارجية السعودي، سعود الفيصل، رسالة قاسية إلى الدول التي احتجت على الأحداث بمصر، قائلاً: إن الرياض وقفت مع القاهرة «وقفة عز»، مشدداً على أن دول

المنطقة قادرة على دعم مصر بحال قطع المساعدات الدولية عنها ، متهما المحتجين في مصر بترويع السكان واستخدام الأسلحة. □

قناة الجزيرة تقلق النظام الجديد في مصر رغم انخفاض شعبيتها

هاجم وزير الخارجية المصري نبيل فهمي، قناة «الجزيرة» الفضائية واتهمها بشن حملة ضد مصر، واعتبر أن مردودها الإعلامي تنقصه المهنية. وتمول قطر الغنية بالغاز قناة الجزيرة التي أطلقت عام ١٩٩٦ وأحدثت ثورة في الساحة الإعلامية العربية التي كانت طوال عقود خاضعة لقيود تفرضها وسائل الإعلام الرسمية. وتعتبر القناة ممثلة للسياسة الخارجية لقطر، فميزانية القناة جزء من ميزانية وزارة الخارجية القطرية. وتعتبر علاقة الجزيرة بجل الجماعات الإسلامية علاقة قديمة ووطيدة قبل وبعد أحداث ما يسمى «الربيع العربي» إلى الحد الذي يمكن اعتبار الجزيرة القناة المختصة بنقل اخبار وتقديم رموز وشخصيات تلك الجماعات، كما دعمت قطر بكل قوتها الإسلاميين الذين وصلوا إلى السلطة في مصر وتونس. كذلك بدا بشكل واضح ذلك الدعم في تغطية أحداث مصر منذ التظاهرات في الشهر الماضي وصولاً إلى عزل مرسي. وقال وزير الخارجية المصري، إن مصر أكدت للقائمين على قناة «الجزيرة» القطرية أكثر من مرة، أن البث الخاص بهم غير مهني، وأن هناك حملة ضد مصر من الجزيرة وغيرها من القنوات الفضائية، لافتاً إلى أن القاهرة «لا تملك إلا الرد على ذلك، ومواجهته بمعلومات أدق وأسرع وأكثر». وتظل قناة الجزيرة مصدر قلق العديدين رغم انخفاض تأثير القناة الواسع في العالم العربي، فقد صدرت دراسة مسحية أميركية كشفت عن تراجع كبير في نسبة مشاهدة قناة «الجزيرة»، مشيرة إلى أن عدد المشاهدين انخفض من ٤٣ مليون في اليوم إلى ٦ ملايين فقط. □

محلل أميركي: انقلاب مصر في مرحلة الموت الإكلينيكي والبنجاجون يبحث عودة مرسي

ذكر المحلل العسكري الأميركي ديفيد برنار أن الانقلاب العسكري الذي أطاح بالرئيس المنتخب محمد مرسي قد دخل في مرحلة الموت الإكلينيكي. ووفقاً لسكاي نيوز قال برنار إن البنجاجون يبحث مع وزير الدفاع عبد الفتاح السيسي طريقة عودة الرئيس مرسي تحت أية صيغة ترضي الطرف الذي يحرك الشارع؛ لأن مصالح أميركا أصبحت في خطر لا يسمح لها بالانتظار أكثر من ذلك. ومن جهة أخرى، انطلقت ٣٤ من تشكيلات قوات الأمن المركزي من مقرها في طريق القاهرة الإسكندرية باتجاه ميدان رابعة العدوية، وسط أنباء عن قرب فض اعتصامات مؤيدي الرئيس محمد مرسي الذين نظموا تظاهرات حاشدة بالقاهرة وعدد من المحافظات. □

أخبار المسلمين في العالم

البرادعي: المزاج العام في مصر يتمنى سحق «الإخوان»

توقع الدكتور محمد البرادعي، نائب رئيس الجمهورية للشؤون الخارجية، أن يكون حل الأزمة السياسية في مصر مع جماعة الإخوان المسلمين بات قريباً، مشيراً في حوار أجرته معه صحيفة الشرق الأوسط اللندنية إنه يعرف أن المزاج العام في مصر هو «سحق الإخوان المسلمين»، مضيفاً: «الأسهل أن يقال ذلك، لكن هذا ليس حلاً، فإذا كنت في موقع مسؤولية، فيجب أن تقود ولا تقاد، فالإخوان جزء وفصيل من الشعب المصري، ويجب أن نضمن لهم حقهم في الحرية والعيش والكرامة والإنسانية. تأتي تصريحات البرادعي هذه في ظل ما يتردد بشأن إعطائه «حبل نجاة» لجماعة الإخوان المسلمين بعدما تعرض تيارهم السياسي عموماً لخسائر فادحة في الفترة الأخيرة سيما بعد خسارتهم السلطة..» □

كيري: الجيش المصري عزل مرسى لاستعادة الديمقراطية

في تطور واضح في موقف الإدارة الأميركية من عزل الجيش للرئيس محمد مرسي، قال وزير الخارجية الأميركي، جون كيري، إن الجيش المصري كان يستعيد الديمقراطية عندما عزل مرسى الشهر الماضي، جاء ذلك خلال حديث كيري لتلفزيون جيو الباكستاني خلال زيارته للبلاد. وفي أوضح تصريح يخرج عن الإدارة الأميركية بعد عزل الرئيس مرسي، اعتبر وزير الخارجية الأميركي جون كيري أن الجيش المصري لم يستول على السلطة، بل لبى مطالب الملايين التي خرجت في الميادين، مطالبة المؤسسة العسكرية بالتدخل لتخوفهم من الانزلاق في الفوضى والعنف. وكانت واشنطن سارت على مدى أسابيع على خط دقيق وتحاشت وصف الأمر بأنه انقلاب عسكري، وهو ما كان يمكن أن يؤدي إلى قطع المساعدات الأميركية لمصر والبالغة حوالي ١.٥ مليار دولار سنوياً يذهب أغلبها للجيش..» □

هل تنزلق مصر إلى جولات عنف بين المتصارعين على السلطة

تخوف محللون من انزلاق مصر نحو جولات عنف غداة الأربعاء الدامي الذي شهد مقتل مئات الأشخاص لدى قيام قوات الأمن المصرية بفض اعتصامين في القاهرة لأنصار الرئيس الإخواني المعزول محمد مرسي. وقال مايكل هانا من معهد «سينشري فاونديشين» الأميركي إن «الاستقطاب يزداد حدة» بعد سقوط العدد الكبير من الضحايا مضيفاً «إن استخدام الجيش لهذا الحد من العنف في انقضاضه -على الاعتصامين- يجعل من

إمكانية التوصل إلى تسوية قريبة المدى بالنسبة إلى مؤيدي مرسي أمراً مستحيلاً، ما يعني أن ممارسة مزيد من القمع قد تكون أمراً لا مفر منه». ودعت بريطانيا وفرنسا وأستراليا إلى اجتماع طارئ لمجلس الأمن لبحث ما يجري في مصر، كما استدعت دول أوروبية عديدة السفير المصري لديها استنكاراً لما حصل، بينما أعلن الرئيس الأميركي باراك أوباما إلغاء مناورات عسكرية كان من المقرر أن تجريها الولايات المتحدة قريباً مع مصر. أما على الصعيد المحلي، فقد استقال نائب الرئيس محمد البرادعي احتجاجاً، فيما خشي بعض المراقبين أن تطلق الحكومة سياسة انتقامية ضد الإخوان المسلمين، الأمر الذي سيغلق الباب أمام أي تغيير سياسي، ما يعني بالطبع حمام دم جديد.. □

الموساد (الإسرائيلي) يروج للبرادعي

حصلت «اليوم السابع» على نص تحقيقات نيابة أمن الدولة مع بشار أبو زيد، الأردني الجنسية، المتهم بالتجسس على مصر لصالح الموساد (الإسرائيلي) في القضية رقم ١٤٦ لسنة ٢٠١١م والمعروفة إعلامياً بـ «جاسوس الاتصالات»، والاشتراك مع ضابطين (إسرائيليين) هاربين لمد المخبرات (الإسرائيلية) بمعلومات وتقارير هامة عن بعض الشخصيات المصرية من خلال التصنت على مكالماتهم محادثاتهم عبر الإنترنت، وذلك بقصد الإضرار بالمصالح القومية للبلاد. وفجر المتهم أثناء تحقيقات النيابة التي أجراها المستشار طاهر الخولي، مفاجأة مدوية، حيث ذكر أن ضابط الموساد (الإسرائيلي) الهارب موشيه إيفور، الذي تعرف عليه عبر الإنترنت، كان يطلب منه دائماً الترويج للدكتور محمد البرادعي، رئيس الوكالة الدولية للطاقة الذرية السابق، والمرشح لرئاسة الجمهورية الانتخابات المقبلة، وعندما استفسر منه عن كيفية الترويج له، أكد أن ذلك يكون عن طريق الحديث مع المقربين والأصدقاء عن البرادعي وتحسين صورته، وأنه شخصية تستطيع النهوض بمصر والتقدم بها للأمام. □

واشنطن: القاعدة تولي وجهتها إلى الشرق الأوسط

حذرت واشنطن من تهديدات يشتهبها بأن تنظيم القاعدة يعد لارتكابها وخصوصاً في آب/اغسطس في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. ونشرت وزارة الخارجية الأميركية تحذيراً يدعو جميع مواطنيها في العالم إلى توخي الحذر. وكانت واشنطن قد أعلنت إغلاق ٢٢ من سفاراتها وقنصلياتها لأسباب أمنية. وأضافت وزارة الخارجية أن من الممكن شن اعتداءات «خصوصاً في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا» مشيرة أيضاً إلى «شبه

أخبار المسلمين في العالم

الجزيرة العربية» في إشارة إلى تعزيز تنظيم القاعدة أنشطته في الشرق الأوسط. وذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن الولايات المتحدة أقدمت على إغلاق مقرات بعثات دبلوماسية في الشرق الأوسط وأفريقيا بعد رصد اتصالات أمر فيها زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري زعيم فرع التنظيم في اليمن ناصر الوحيشي بتنفيذ هجوم ضد المصالح الأميركية. □

ميشال سليمان: سلاح المقاومة تخطى الحدود وحان الوقت لتكون الدولة ناطمة له

أرخت الأزمة الداخلية اللبنانية بظلالها على احتفال العيد الثامن والستين للجيش اللبناني، الذي أقيم برعاية رئيس الجمهورية ميشال سليمان وحضوره في ثكنة شكري غانم في الفياضية. فالاحتفال جاء هذا العام غداة تأجيل تسريح قائد الجيش العماد جان قهوجي، بعدما حالت أزمة تشكيل الحكومة دون تعيين قائد للجيش، وهذا أمر يحصل للمرة الأولى في تاريخ المؤسسة العسكرية. كما كان لافتاً خطاب رئيس الجمهورية الذي وجه رسائله الى الأفرقاء الداخليين كافة وخصوصاً «حزب الله»، معتبراً انه «أصبح ملحاً درس الاستراتيجية الوطنية للدفاع وإقرارها في ضوء تطورات المنطقة، والتعديل الطارئ على الوظيفة الأساسية لسلاح المقاومة الذي تخطى الحدود اللبنانية». وأوضح أنه «استناداً إلى التصور الذي وضعه أمام الشعب وهيئة الحوار الوطني، وإنطلاقاً من تمييزنا الواضح والدقيق والمستمر بين المقاومة والإرهاب، ولتحصين مقدرتنا على المقاومة والدفاع حصراً عن لبنان، فقد حان الوقت لتكون الدولة بجيشها وقيادته السياسية العليا الناطمة الأساسية والمقررة لاستعمال هذه المقدرات»، □.

نجاد عضو في مجلس تشخيص مصلحة النظام

بعد يومين على انتهاء عهده الذي دام ٨ سنوات، عين مرشد الجمهورية في إيران علي خامنئي الرئيس السابق محمود أحمددي نجاد عضواً في مجلس تشخيص مصلحة النظام. ووُردَ في قرار أصدره خامنئي، أنه يعين نجاد عضواً في المجلس، «نظراً إلى جهوده القيّمة خلال توليه الرئاسة طيلة ٨ سنوات، والتجارب الكثيرة التي اكتسبها في مهماته الرئاسية»، متمنياً له «التوفيق والنجاح». والمجلس الذي يعين المرشد جميع أعضائه، هو هيئة استشارية عليا تفصل في الخلافات بين السلطات، وخصوصاً بين مجلس صيانة الدستور ومجلس الشورى (البرلمان)، ويرأسه منذ إنشائه هاشمي رفسنجاني. □

كيري: «إسرائيل» ستحتفظ بـ ٨٥٪ من الكتل الاستيطانية

ذكرت صحيفة "يديعوت أحرنوت" الصهيونية، أن وزير الخارجية الأميركي، جون كيري، أعرب في حديث مع عدد من أعضاء الكونغرس الأميركي عن اعتقاده، أن "إسرائيل" قد تحتفظ في نهاية المطاف بنحو ٨٥٪ من الكتل الاستيطانية تحت سيادتها وضمن حدودها. وقالت الصحيفة إنه يتبين من جولة الاتصالات التي أجراها كيري مع أعضاء في الكونغرس الأميركي عقب انتهاء الجولة الأولى من المفاوضات بين الجانبين الفلسطيني و"الإسرائيلي" التي جرت مطلع الأسبوع في واشنطن، أن هذه الجولة لم تقتصر فقط على تناول ترتيبات وإجراءات المفاوضات، بل تعدت ذلك إلى البحث في مصير المستوطنات أيضاً ومسألة تبادل الأراضي. وكان كيري قد شرع في جولة جديدة من المفاوضات بين الجانبين في إطار خطة لتسوية الصراع تمتد على مدار تسعة أشهر. □

الجنرال دمبسي: أي تدخل عسكري أميركي في سورية لن يكون لمصلحة أميركا

أعلن قائد الجيوش الأميركية الجنرال مارتن دمبسي إن أي تدخل عسكري أميركي في سورية لن يكون في مصلحة الولايات المتحدة لأن مقاتلي المعارضة السورية لا يدعمون المصالح الأميركية. وفي رسالة إلكترونية وجهها الاثنين إلى النائب الديموقراطي أليوت انغل، شدد الجنرال دمبسي في مجال معارضته «أي تدخل عسكري في سورية ولو كان حتى محدوداً»، على تشتت المعارضة السورية وعلى ثقل المجموعات المسلحة المتطرفة داخل هذه المعارضة. وأضاف «أعتبر أن المعسكر الذي نختار دعمه يجب أن يكون مستعداً لتعزيز مصالحه ومصالحننا عندما تميل الدفة لمصلحته. الوضع حالياً ليس كذلك». وأشار دمبسي إلى أن الاضطرابات في سورية «ذات جذور عميقة». وقال أيضاً إنه «نزاع طويل الأمد بين فصائل متعددة والصراع العنيف لتولي الحكم سيستمر بعد نهاية حكم الأسد». واعتبر دمبسي «إن أي تدخل عسكري أميركي سيكون له أيضاً تداعيات ستضعف من أمن حلفائنا وشركائنا». □

اتهام الرئيس الباكستاني السابق برفيز مشرف بقتل زعيمة المعارضة بينظير بوتو

وُجِّهت إلى الرئيس الباكستاني السابق، برفيز مشرف، ثلاث تهم على خلفية اغتيال زعيمة المعارضة ورئيسة الوزراء السابقة، بينظير بوتو عام ٢٠٠٧م. وقال مدعون عامون إن مشرف اتهم بالقتل والتآمر الجنائي وتسهيل القتل لبوتو خلال تجمع سياسي لها في مدينة راولپندي إبان عودتها للبلاد. ويخضع مشرف، الذي عاد إلى باكستان من منفاه الاختياري في بريطانيا في وقت سابق من السنة الجارية، للإقامة الجبرية. ويعد مشرف المتهم الرئيس في القضية إلى جانب ضابطين آخرين. كما يواجه مشرف تهمة □

أخبار المسلمين في العالم

الخيانة العظمى على خلفية إقالة القضاة وفرضه حالة الطوارئ في البلاد عام ٢٠٠٧. وتولى مشرف الحكم في عام ١٩٩٩ عندما أزاح رئيس الوزراء آنذاك، نواز شريف، من الحكم في انقلاب أبيض ثم حكم البلد لمدة تسع سنوات قبل أن يخسر في الانتخابات ويختار المنفى الاختياري في دبي ولندن. من الجدير ذكره أن حزب نواز شريف هو الحزب الحاكم الآن في باكستان إثر فوزه بالانتخابات العامة الأخيرة. □

رضا بلحاج: لقاء الغنوشي مع السبسي في باريس سرا بهدف تقاسم السلطة لا الدفاع عن الثورة

صرح رضا بلحاج الناطق الرسمي باسم حزب التحرير في تونس حول اللقاء السري الذي احتضنته باريس وجمع بين كل من زعيم حركة النهضة راشد الغنوشي ورئيس حزب نداء تونس الباجي قايد السبسي، قائلاً «إن هذا اللقاء خطّط له «العرب الكبير» بريطانيا، وكان بوساطة سليم الرياحي رئيس حزب الاتحاد الوطني الحرّ الذي لديه ولاء كبير لبريطانيا». وذلك بحسب ما نشرته جريدة المحور التونسية، وأضافت الجريدة أن بلحاج أكد «قلت منذ سنة تقريباً على الصفحات الأولى لأعمدة الصحف أن هذا التحالف آت لا محالة بين حزب نداء تونس وهو تيار صنعه الغرب بألوان مختلفة وبين حركة النهضة لإيهام الرأي العام بأن الإسلام أخذ حظّه». وتابع بلحاج قوله «إن المسألة لم تعد الدفاع عن الثورة أو الصحوة الإسلامية، وإنما أصبحت المسألة شهوة سلطة، معرباً عن أسفه من أن الشعب التونسي أصبح موضوع مقايضة». وشدد رضا بلحاج على أن «هذا التحالف لن يحلّ الأزمة مثلما يعتقدون، وإنما هو بمثابة إطفاء لعناصر التوتر». □

تقرير للمجلس الأعلى الفرنسي للاندماج يوصي بمنع الحجاب في الجامعات

ضرب المجلس الأعلى للاندماج في فرنسا وترأّ حساساً باقتراحه حظر ارتداء الحجاب في جامعات البلاد. ويحظر ارتداء الحجاب بالفعل في الأجهزة الحكومية وفي المدارس التي تديرها الدولة. وقال المجلس في تقرير سرب لصحيفة لوموند إن هناك حاجة لاتخاذ هذه الخطوة لمواجهة المشكلات التي تسببها طالبات يرتدين الحجاب ويطالبن بمكان للصلاة وقوائم طعام خاصة في الجامعات. وأدى حظر فرنسا لارتداء الحجاب في المدارس عام ٢٠٠٤م وحظر النقاب في الأماكن العامة عام ٢٠١٠م إلى نفور كثير من المسلمين البالغ عددهم خمسة ملايين في البلاد. واندلعت أعمال شغب الشهر الماضي في إحدى ضواحي باريس بعدما فحصت الشرطة أوراق هوية امرأة منتقبة. وأطلق الرئيس فرانسوا أولاند مرصداً جديداً للعلمانية في إبريل/ نيسان وطلب منه أفكاراً جديدة بشأن كيفية تطبيق القانون التاريخي الذي صدر عام ١٩٠٥م والذي يهدف إلى حماية المجال العام من الضغوط الدينية مع احترام حرية الدين. □

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَنِينَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ ۖ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ ۖ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۖ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ يَسْمَا أَشْتَرَا بِهٖ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَعِثْنَا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۚ وَرَأَاهُ ۖ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ۚ قُلْ فَلِمَ تَقُولُونَ أُنْيَاءً ۖ إِنَّكُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ ﴾



جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه

عطاء بن خليل أبو الرسته

أمير حزب التحرير حفظه الله في تفسيره لهذه الآيات ما يلي:

من هذه الآيات يتبين ما يلي:

١. يذكر الله سبحانه بني إسرائيل بالنعمة التي أنعمها عليهم وكفرهم بها، فقد أنزل الله التوراة على موسى عليه السلام ثم تابع الرسل إليهم على شريعة موسى عليه السلام كلما هلك نبي خلفه نبي إلى زمان عيسى بن مريم عليه السلام. ومعنى ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أي أردفنا وأتبعنا بعضهم خلف بعض كما يقفو الرجل الرجل إذا سار في إثره من ورائه، وأصله من القفا أي الخلف، وهي هنا للدلالة على تتابع الأنبياء إليهم من بعد موسى إلى زمن عيسى عليه السلام.

٢. ويذكرهم الله سبحانه بإرسال عيسى عليه السلام إليهم مؤيداً ببينات واضحات ومعجزات تدل على أنه رسول من عند الله، من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإنجيل بما يدخرون ﴿إِنِّي أَنزَلْتُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ الْطَّيْرَ فَهَبْتَهُ الطَّيْرُ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْرِى الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُلُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران/٤٩. وقد أيد الله سبحانه عيسى عليه السلام بروح القدس وهو جبريل عليه السلام ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾ نصرناه وقويناه، ومنه أيدك الله أي قواك.

﴿بُرُوجُ الْقُدُسِ﴾ لفظ مشترك وهي تتردد هنا بمعنى جبريل - عليه السلام - أو الكتاب المنزل على عيسى (الإنجيل) أو الاسم الذي كان عيسى يحيي به الموتى ﴿الْقُدُسِ﴾ المطهرة و﴿بُرُوجُ الْقُدُسِ﴾ هنا جبريل - عليه السلام - وذلك بدلالة الآية الأخرى ﴿إِذْ

قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْنَاكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴿المائدة/آية ١١٠﴾ فالآية الكريمة ذكرت روح القدس وذكرت الإنجيل، وعليه فروح القدس غير الإنجيل، وكذلك ذكر روح القدس في الآية قبل ذكر الخلق من طين وإحياء الموتى فهو ليس الاسم الذي يحيي عيسى به الموتى وبالتالي يكون روح القدس هو جبريل عليه السلام. ٣. ثم بين الله سبحانه لهم قساوة قلوبهم حيث إنهم كانوا كلما أرسل إليهم نبي بغير ما يشتهون فلا يحقق لهم مصالحهم الدنيوية، كانوا يستكبرون عن اتباعه ومن ثم يقتلون بعض هؤلاء الأنبياء ويكذبون بعضهم أو يقولون استهزاء إن قلوبهم قد خلقت مغطاة مقفلة ﴿عُلِّفُ﴾ فلا تنفتح لقول هؤلاء الأنبياء، وكل ذلك: التكذيب والقتل والقلوب الغلف بسبب استكبارهم. ويبين الله في آخر الآية أنهم كاذبون بزعمهم أن قلوبهم خلقت هكذا، ولكنهم استحقوا لعنة الله والطرد من رحمته لأنهم كفروا بالله باختيارهم، وكفروا برسله على علم، فهم لا يؤمنون إلا بالقليل الذي يوافق أهواءهم أي يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كما وصفهم الله، فقد أنكروا بعض ما في كتابهم من صفة الرسول ﷺ وغيره مما لا تحوى أنفسهم.

﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (الفاء) سببية لبيان سبب لعنهم وكفرهم فهم لا يؤمنون إلا بالقليل مما أنزل عليهم. (ما) زائدة لتوكيد معنى القلة، وقد قال الله عن الإيمان بالقليل إنه كفر وهذا يعني أن من لم يؤمن بكل ما أنزل إلى وقته يكون كافراً لأن الله سبحانه يقول ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أي أنهم اعتبروا كافراً لإيمانهم بالقليل وليس بكل ما أنزل عليهم. وإدخال ﴿بَلْ﴾ على الكلام ينقض ما قبلها، وعليه فإن ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ تعني تكذيباً من الله سبحانه للقائلين من اليهود ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾.

٤. ومن أمثلة فسادهم وخبثهم يخبر الله سبحانه كيف كانوا قبل بعثة الرسول ﷺ يستنصرون ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ على المشركين إذا قاتلوهم بالنبي الذي يجدون صفته في كتبهم ويتوعدونهم بأنهم سيفعلون بهم ويفعلون عند بعثته حين سيكونون من أتباعه. إلا أنهم كفروا به - صلوات الله وسلامه عليه - لما بعث بالقرآن الكريم المصدق لما في كتابهم من صفته وبعثته وهم يعلمون علم اليقين أنه هو النبي الموعود الذي كانوا يستفتحون به ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ البقرة/آية ١٤٦ وبذلك استحقوا لعنة الله بكفرهم ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

٥. ولأنهم كفروا بالرسول الذي يعلمون صدقه ظلماً وحسداً ﴿بَغِيًّا﴾ أن يكون من غيرهم فقد كانوا يريدونه منهم من نسل إسحاق، فلما وجدوه من نسل إسماعيل - عليهما السلام - أنكروا ما في التوراة عنه إذ كفروا على علم وهذا غاية السوء والعناد، وبذلك

عرضوا أنفسهم لعقوبة من الله شديدة لا تغادرهم أبداً ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي عذاب يورث صاحبه ذلة وهواناً لا يفارقه أبداً فهو خالد فيه، وهو الذي خصّ به أهل الكفر. وبناء عليه يكون اليهود قد عرضوا أنفسهم لعقاب الله وبذلوا مقابل الكفر بما أنزل الله - أي القرآن - على رسوله ﷺ لأنه لم يبعث منهم. فهم قد باعوا أنفسهم مقابل الكفر والعذاب المهين ولبئس هذا البيع أن يضحي المرء بنفسه ويبدلها بثمن فيه عقوبة له في نار جهنم خالداً مخلداً، فالبيع الراجح هو الذي تبذل النفس فيه مقابل رضوان الله وجنات فيها نعيم مقيم، أما بيعهم فهو بيع خاسر مهين ﴿بِسْمَا أَشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾. ﴿أَشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي باعوا أنفسهم، شري واشترى تأتي بمعنى البيع والابتياح والقرينة هي التي تعين المعنى، فإذا أسندت هذه الأفعال إلى النفس كأن يقال: "شري نفسه أو اشترى نفسه" أي باعها لأنه هو المالك لنفسه، فلا يصحّ معها ابتياعها، وأما إذا أسندت هذه الأفعال إلى غير مالکها كأن يقال: "اشترى زيد من عمرو نفسه" أي نفس عمرو فهي تعني ابتاعها منه، وعلى نحو هذا قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ البقرة/آية ٢٠٧ أي يبيع نفسه في سبيل الله، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ التوبة/آية ١١١ أي ابتاعها منهم مقابل ثمن عظيم وهو إدخالهم الجنة.

﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ أي رجعوا وانصرفوا نتيجة فعلتهم تلك بغضب على غضب، أي بغضب شديد شديد: غضب على كفرهم بآيات الله في زمن موسى - عليه السلام - وكفرهم بعبسى - عليه السلام - وكذلك كفرهم برسول الله محمد ﷺ على علم منهم بصدقه، فصحبهم الغضب الشديد في ذهابهم وإياهم.

٦. ثم يبين الله سبحانه كذبهم وتناقضهم فيما يقولون، فإنهم إن سئلوا لماذا لم تؤمنوا بما أنزل الله - أي بالقرآن الكريم - قالوا إننا لا نؤمن إلا بما أنزل علينا من التوراة ولا يؤمنون بكتاب بعده، علما بأن هذا القرآن مصدق للمذكور في كتابهم حول صفة الرسول ﷺ وهم على علم بذلك إلا أنهم يعاندون ويكفرون. ويقيم الله الحجة عليهم ويظهر كذبهم فيما يقولون ﴿تُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ فهم لم يؤمنوا بما أنزل عليهم حيث قتلوا أنبياء الله وهو حرم قتلهم في التوراة التي أنزلت عليهم والتي زعموا أنهم يؤمنون بها ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

وفي هذا بيان من الله سبحانه أن اليهود الذين كانوا في عصر رسول الله ﷺ على خطى سلفهم سائرون، فهم غير مؤمنين لا بالذي أنزل عليهم كما زعموا ولا بالكتب وراءه المنزلة من عند الله (الإنجيل والقرآن الكريم). □

رياض الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

أخرج مسلم، والترمذي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: ألتستم في طعام وشراب ما شئتم؟ لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدُّقْل ما يملأ بطنه. وفي رواية لمسلم عن النعمان رضي الله عنه قال: ذكر عمر رضي الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدُّقْل ما يملأ بطنه.

وأخرج أبو نُعيم في الحلية، والخطيب، وابن عساكر، وابن النجَّار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي جالساً. فقلت: يا رسول الله، أراك تصلي جالساً فما أصابك؟ قال: «الجوع، يا أبا هريرة» فبكيت. فقال: «لا تبك يا أبا هريرة، فإنَّ شدة الحساب يوم القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب في دار الدنيا».

وعند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان يمر بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال ثم هلال لا يوقد في بيوتهم شيء من النار، لا لخبز ولا لطبخ. قالوا: بأي شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة؟ قال: الأسودان: التمر والماء. وكان لهم جيران من الأنصار - جزاهم الله خيراً - لهم منائح، ويرسلون إليهم شيئاً من لبن.

وأخرج الترمذي عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع، ورفعنا ثيابنا عن حَجَرٍ حَجَرٍ على بطوننا؛ فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين. كذا في التَّرجيب. وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن بُجير رضي الله عنه - وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. قال: أصاب النبي صلى الله عليه وسلم جوع يوماً، فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه ثم قال: «ألا ربَّ نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة. ألا ربَّ مُكْرَم لنفسه وهو له مهين. ألا ربَّ مُهين لنفسه وهو له مكرم»

وأخرج الطبراني عن أم سُلَيم رضي الله عنها: قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «إصبري - فوالله - ما في آل محمد شيء منذ سبع، ولا أوقد تحت بُرمة لهم منذ ثلاث. والله، لو سألت الله يجعل جبال تهامة كلها ذهباً لفعل». □

أَسِيدُ بْنُ الْحَضِيرِ

وفي ذات يوم، خرج أسعدُ بنُ زُرارة بضيفه الداعية مُصعبُ بنُ عُميرٍ، ليلقى جماعة من بني عبدِ الأشهلِ ويعرضَ عليهم الإسلام، فدخلوا بُستاناً من بساتين بني عبدِ الأشهل، وجلسا عند بئرِها العذبة في ظلالِ النخيل.

فاجتمعَ على مُصعبٍ جماعة قد أسلموا وآخرون يريدون أن يسمعوا، فانطلق يدعو ويُبشِّرُ، والناسُ إليه مُنصِتِينَ، وبروعة حديثه مأخوذِينَ. فجاء من أخبر أسيدُ بنُ الحضيرِ وسعدُ بنُ معاذٍ - وكانا سيدي الأوس - بأن الداعية المكيَّ قد نزل قريباً من ديارهما، وأن الذي جرَّاهُ على ذلك أسعدُ بنُ زُرارة. فقال سعدُ بنُ معاذٍ لأسيدُ بنِ الحضيرِ: لا أبا لك يا أسيد، انطلق إلى هذا الفتى المكي الذي جاء إلى بيوتنا ليُغري ضعفائنا، ويُسفه آلهتنا، وازجرَّهُ، وحذرهُ من أن يَطأَ ديارنا بعد اليوم. ثم أردف يقول: ولولا أنه في ضيافة ابنِ خالتي أسعدُ بنِ زُرارة، وأنه يمشي في حمايته لكفيتك ذلك.

أخذ أسيدُ حربته، ومضى نحو البُستان، فلما رآه أسعدُ بنُ زُرارة مُقبلاً

قدِمَ الفتى المكيَّ مُصعبُ بنُ عُميرٍ إلى يثرب - المدينة المنورة - في أولِ بعثة تبشيرية عرفها تاريخ الإسلام.

فنزلَ على أسعدُ بنِ زُرارة أحدِ أشرافِ الخزرج - قبيلة عربية يمنية ارتحلت وأختها الأوس إلى الحجاز بعد خراب سد مأرب واستوطنت المدينة -، واتخذ من داره مقاماً لنفسه، ومُنطلقاً لبث دعوته إلى الله، والتبشيرِ بنبيِّه محمدٍ رسول الله.

وأخذ أبناءُ يثرب يُقبلون على مجالسِ الداعية الشابِّ مُصعبُ بنِ عُميرٍ إقبالاً كبيراً. وكان يُغريهم به عُذوبة حديثه، ووضوح حُجته، ورقة شمائله، ووضاعة الإيمان التي تشرق من وجهه القسيم الوسيم. وكان يجذبهم إليه شيءٌ آخر فوق ذلك كله، هو هذا القرآن الذي كان يَتلو عليهم بين الفينة والفينة بعضاً من آياته البينات، بصوته الشجيِّ الرخيم، ونبراته الحلوة الأسيرة، فيستلن به القلوبُ القاسية، ويستدرُّ الدموع العاصية، فلا ينفضُ المجلسُ من مجالسه إلا عن أناسٍ أسلموا وانضمُّوا إلى كتائب الإيمان.

فانضمَّ في ذلك اليوم إلى كتائب الإسلام فارسٌ من فرسان العرب المرموقين، وسيدٌ من سادات الأوسِ المعدودين. وكان يُلقبه قومه بالكامل، لرجاحة عقله، ونبالة أصله، ولأنه ملك السيف والقلم، إذ كان بالإضافة إلى فروسيَّته ودقة رميه، قارئاً كاتباً في مجتمع ندر فيه من يقرأ ويكتب. وقد كان إسلامه سبباً في إسلام سعد بن معاذ، وكان إسلامهما معاً سبباً في أن تسلم جُموع غفيرة من الأوس، وأن تصبح المدينة بعد ذلك مهاجراً لرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وموئلاً وقاعدة لدولة الإسلام العظمى.

أولع أسيدُ بن الحضير بالقرآن منذ سمعه من مُصعب بن عُمير ولع المحبِّ بحبيبه، وأقبل عليه إقبال الظامئ على المورد العذب في اليوم القاطظ، وجعله شغله الشاغل؛ فكان لا يرى إلا مُجاهداً غازياً في سبيل الله، أو عاكفاً يتلو كتابَ الله. وكان رخيم الصوت، مُبين النطق، مُشرق الأداء، تطيبُ له قراءة القرآن أكثر ما تطيبُ إذا سكن الليل، ونامتِ العيون، وصفتِ النفوس. وكان الصحابة الكرام يتحيتون أوقات قراءته، ويتسابقون إلى سماع تلاوته، فيما سَعَدَ من يُتاح له أن يسمع القرآن منه رطباً طرياً كما أنزل على محمد. وقد استعذب أهل السماء تلاوته

قال لمصعب: ويحك يا مُصعب، هذا سيدُ قومه، وأرجحُهم عقلاً، وأكملُهم خصالاً: أسيدُ بن الحضير، فإن يُسلم تبعه في إسلامه خلقٌ كثيرٌ، فاضدِّق الله فيه، وأحسن التآتي له.

وقف أسيدُ بن الحضير على الجمع، والتفت إلى مُصعب وصاحبه وقال: ما جاء بكما إلى ديارنا، وأغراكما بضعفائنا؟! اعتزلاً هذا الحيَّ إن كانت لكما بنفسيكما حاجة. فالتفت مُصعبُ إلى أسيدٍ بوجهه المشرق بنور الإيمان، وخاطبه بلهجته الصادقة الأسيرة وقال له: يا سيدَ قومه، هل لك في خيرٍ من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: تجلسُ إلينا وتسمع مِنَّا، فإن رضيت ما قلناه قبلته، وإن لم ترضه تحولنا عنكم ولم نعدُ إليكم. فقال أسيدٌ: لقد أنصفت، وركز رُمحه في الأرض وجلس.

فأقبل عليه مُصعبُ يذكرُ له حقيقة الإسلام، ويقرأ عليه شيئاً من آيات القرآن؛ فانبسط أساريُّه وأشرق وجهه وقال: ما أحسن هذا الذي تقول، وما أجلُّ ذاك الذي تتلو!! كيف تصنعون إذا أردتم الدخول في الإسلام؟! فقال له مصعبٌ: تغتسلُ وتطهرُ ثيابك، وتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وتصلِّي ركعتين. فقام إلى البئر فتطهر بمائها، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وصلى ركعتين.

كما استعذبها أهل الأرض. ففي جوف ليلة من الليالي كان أسيد بن الحضير جالساً في مريدِه (فضاء وراء البيت)، وابنه يحيى نائمٌ إلى جانبه، وفرسه التي أعدّها للجهاد في سبيل الله مُرتبطة غير بعيدٍ عنه.

وكان الليلُ وادعاً ساجياً (ساكناً)، وأديمُ السماء رائقاً صافياً، وعيون النجوم ترمق الأرض الهاجعة بحنانٍ وعطفٍ.

فتاقت - رغبت واشتاقت - نفسُ أسيد بن الحضير لأن يُعطرَ هذه الأجواء النديّة بطيوب القرآن، فانطلق يتلو بصوته الرخيم الحنون: ﴿الْعَلَمُ ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَيَا آخِرَةَ هُمْ يُؤْفِقُونَ ۝﴾. فإذا به يسمع فرسه وقد جالت جولةً كادت تقطع بسببها رباطها، فسكت؛ فسكنتِ الفرسُ وقرّت. فعاد يقرأ: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝﴾، فجالّت الفرسُ جولةً أشدّ من تلك وأقوى، فسكت، فسكنت... وكرّر ذلك مراراً، فكان إذا قرأ أجفلتِ الفرسُ وهاجت، وإذا سكت سكت وقرّت، فخاف على ابنه يحيى أن تطأه، فمضى إليه ليوقظه، وهنا حانت منه التفاتة إلى السماء، فرأى غمامة كالمظلة لم تر العين أروع ولا أبهى منها قطُّ وقد علّق بها أمثال المصابيح، فملأت الآفاق ضياءً

وسناءً، وهي تصعد إلى الأعلى حتى غابت عن ناظره. فلما أصبح مضى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقصّ عليه خبر ما رأى، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام:

«تلك الملائكة كانت تستمعُ لك يا أسيد... ولو أنك مَضيت في قراءتك لرآها الناسُ ولم تستتر منهم». ورد أصل هذا الخبر في البخاري ومسلم. وكما أُولع أسيد بن الحضير بكتاب الله فقد أُولع برسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان - كما حدّث عن نفسه - أصفى ما يكون صفاءً وأشدّ ما يكون شفافية وإيماناً حين يقرأ القرآن أو يسمعه، وحين ينظرُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطبُ أو يحدث.

وكان كثيراً ما يتمنى أن يمسّ جسدهُ جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يُكبَّ عليه لاثماً مُقبلاً، وقد أتيح له ذلك ذات مرة. ففي ذات يوم كان أسيدٌ يُطرفُ القوم بمُلحِه، فغمزه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في خاصرته بيده، كأنه يستحسنُ ما يقول. فقال أسيدٌ: أوجعتني يا رسول الله. فقال عليه الصلاة والسلام: «اقتصم مني يا أسيد». فقال أسيد: إن عليك قميصاً ولم يكن عليّ قميصٌ حين غمزتني. فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه عن جسده، فاحتضنه أسيدٌ وجعل يُقبل

رضي الله عنه قسم بين المسلمين مالا ومتاعاً، فبعث إليّ بحلة فاستصغرتها... فبينما أنا في المسجد إذ مرّ بي شاب من قریش عليه حلة سابغة من تلك الحل التي أرسلها إليّ عمر، وهو يجزها على الأرض جراً، فذكرت لمن معي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم ستلقون أثرة من بعدي»، وقلت: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم. فانطلق رجل إلى عمر وأخبره بما قلت، فجاءني مُسرِعاً وأنا أصلي فقال: صل يا أسيد. فلما قضيت صلاتي أقبل عليّ وقال: ماذا قلت؟ فأخبرته بما رأيت وبما قلت. فقال: عفا الله عنك، تلك حلة بعثت بها إلى فلان، وهو أنصاريّ عقبيّ بدريّ أحديّ، فشرها منه هذا الفتى القرشيّ ولبسها. أتظن أن هذا الذي أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في زمانني؟! فقال أسيد: والله يا أمير المؤمنين لقد ظننت أن ذلك لا يكون في زمانك.

لم يعيش أسيد بن الحضير بعد ذلك طويلاً، فقد اختاره الله إلى جواره في عهد عمر رضي الله عنه. وقد وجد عمر أن عليه ديناً مقداره أربعة آلاف درهم، فهم ورثته ببيع أرض له لوفاء ديونه. فلما عرف عمر ذلك قال: لا أترك بني أخي أسيد عائلة على الناس... ثم كلم الغرماء فرفضوا بأن يشتروا منه ثمر الأرض أربع سنين، كل سنة بألف. □

ما بين إبطه وخاصرته وهو يقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنها لبُغية كنت أتمناها منذ عرفتك، وقد بلغت الآن.

وقد كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يُبادل أسيداً حباً بحُب، ويحفظ له سابقته في الإسلام وذوده عنه يوم أُخذ حتى إنه طعن سبع طعنات مُميتات في ذلك اليوم؛ فكان يعرف له قدره ومنزلته في قومه، فإذا شفع في أحد منهم شفعه فيه. حدث أسيد فقال: جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له أهل بيت من الأنصار فيهم محاويج، وجُلُّ أهل ذلك البيت نسوة، فقال عليه الصلاة والسلام: «لقد جئتنا يا أسيد بعد أن أنفقنا ما بأيدينا، فإذا سمعت بشيء قد جاءنا فاذاكر لنا أهل ذلك البيت». فجاءه بعد ذلك مال من خبير قسمه بين المسلمين فأعطى الأنصار وأجزل، وأعطى أهل ذلك البيت وأجزل. فقلت له: جزاك الله عنهم - يا نبي الله - خيراً. فقال صلى الله عليه وسلم: «وأنتم، معشر الأنصار، جزاكم الله أطيب الجزاء، فإنكم - ما علمت - أعفة صُبر، وإنكم ستلقون أثرة بعدي (أي أن الناس سيستأثرون بالخير من دونكم)، فاصبروا حتى تلقوني، وموعدكم الحوض» انظر أصل الخبر في البخاري ومسلم. قال أسيد: فلما آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

❖ عن أبي سعيدٍ الخدريّ رضي الله عنه أَنَّ رجلاً أتاه، وقال: أوصني يا أبا سعيدٍ، فقال له أبو سعيدٍ: سَأَلْتُ عَمَّا سَأَلْتُ عَنْهُ مَنْ قَبْلَكَ، قال: «أوصيك بتقوى الله، فإنَّها رأسُ كُلِّ شيءٍ. وعليك بالجهاد، فإنَّه رهبانيَّةُ الإسلام. وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن، فإنَّه روحُك في أهل السَّماءِ وذكرك في أهل الأرض. وعليك بالصَّمتِ إلا في حقٍّ، فإنَّك به تغلب الشَّيطان».

❖ قال ابن مسعود رضي الله عنه: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ الْمُؤْمِنُ فِيهِ أَذَلَّ مِنَ الْأَمَةِ.

❖ قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «لا تكونُ عالماً حتى تكون متعلِّماً، ولا تكونُ بالعلم عالماً حتى تكونَ به عاملاً»

❖ قال سفيان الثوري: أَصْلَحُ سَرِيرَتِكَ يَصْلَحُ اللَّهُ عِلَانِيَتَكَ، وَأَصْلَحُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ يَصْلَحُ اللَّهُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَاَعْمَلْ لِآخِرَتِكَ يَكْفِكَ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاكَ، وَبِعَ دُنْيَاكَ بِآخِرَتِكَ تَرْبِحَهُمَا جَمِيعاً، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ فَتَخْسِرَهُمَا جَمِيعاً.

❖ عن مالك بن دينار (رحمه الله) قال: «إذا طَلَبَ الرَّجُلُ الْعِلْمَ لِيَعْمَلَ بِهِ سِرَّهُ عِلْمَهُ، وَإِذَا طَلَبَ الْعِلْمَ لِغَيْرِ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ زَادَهُ عِلْمُهُ فَخْراً»

❖ قال أبو حاتم: «العَاقِلُ لَا يَشْتَغِلُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَّا وَقَصْدُهُ الْعَمَلُ بِهِ؛ لِأَنَّ مَنْ سَعَى فِيهِ لِغَيْرِ مَا وَصَفْنَا ازْدَادَ فَخْراً وَتَجَبَراً وَلِلْعَمَلِ تَرْكاً وَتَضْيِيعاً؛ فَيَكُونُ فِسَادُهُ فِي الْمُتَأَسِّينَ بِهِ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ فِسَادِهِ فِي نَفْسِهِ، وَيَكُونُ مِثْلُهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾

❖ قال وهيب بن الورد: إِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَسْبِقَكَ إِلَى اللَّهِ أَحَدٌ فَافْعَلْ.

❖ قال سلمة بن دينار: مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ فِي الْآخِرَةِ فَقَدِمَهُ الْيَوْمَ، وَمَا كَرِهْتَ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ فِي الْآخِرَةِ فَاتَرَكْهُ الْيَوْمَ.

❖ قيل لحكيم: مَا الْعَافِيَةُ؟ قَالَ: أَنْ يَمُرَّ بِكَ الْيَوْمُ بِلا ذَنْبٍ.

❖ قيل لأعرابي: «لَقَدْ أَصْبَحَ رَغِيفَ الْخَبْزِ بَدِينَارٍ» فَأَجَابَ: «وَاللَّهِ مَا هَمَّنِي ذَلِكَ وَلَوْ أَصْبَحْتُ حَبَّةَ الْقَمْحِ بَدِينَارٍ، فَأَنَا أَعْبُدُ اللَّهَ كَمَا أَمَرَنِي، وَهُوَ

يَرْزُقُنِي كَمَا وَعَدَنِي».

❖ أَخْبَرَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيَّ أَنَّ رَجُلًا اغْتَابَهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِطَبْقٍ فِيهِ رُطْبٌ، وَقَالَ: أَهْدَيْتَ إِلَيَّ بِأَغْتِيَابِكَ لِي حَسَنَاتِكَ، فَكَافَأْتُكَ عَلَيْهَا، فَاسْتَحْيَا الرَّجُلَ، وَلَمْ يَعِدْ لَذِكْرِهِ بِسَوْءٍ.

❖ قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةٍ فِي كِتَابِهِ عَيُونُ الْأَخْبَارِ: قَرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِلْهَنْدِ: «صَحْبَةُ السُّلْطَانِ عَلَى مَا فِيهِمْ مِنَ الْعِزِّ وَالثَّرْوَةِ عَظِيمَةُ الْخَطَارِ، وَإِنَّمَا تَشَبَّهُ بِالْجَبَلِ الْوَعْرِ فِيهِ الثَّمَارُ الطَّيْبَةُ وَالسَّبَاعُ الْعَادِيَّةُ، فَالْارْتِقَاءُ إِلَيْهِ شَدِيدٌ وَالْمَقَامُ فِيهِ أَشَدُّ، وَلَيْسَ يَتَكَافَأُ خَيْرُ السُّلْطَانِ وَشَرُّهُ؛ لِأَنَّ خَيْرَ السُّلْطَانِ لَا يَعْدُو مَزِيدَ الْحَالِ، وَشَرُّ السُّلْطَانِ قَدْ يُزِيلُ الْحَالَ وَيَتْلَفُ النُّفُوسَ الَّتِي لَهَا طَلَبُ الْمَزِيدِ، وَلَا خَيْرَ فِي الشَّيْءِ الَّذِي سَلَامَتُهُ مَالٌ وَجَاهٌ، وَفِي نَكْبَتِهِ الْجَائِحَةُ وَالتَّلْفُ».

بهذه الطريقة يحمي المؤمن نفسه من المعاصي

❖ قَدِمَ شَابٌّ إِلَى شَيْخٍ وَسَأَلَهُ فَقَالَ: أَنَا شَابٌّ صَغِيرٌ وَرَغْبَاتِي كَثِيرَةٌ، وَلَا أَسْتَطِيعُ مَنَعَ نَفْسِي مِنَ النَّظَرِ إِلَى النَّاسِ وَالْفَتَيَاتِ فِي السُّوقِ، فَمَاذَا أَفْعَلُ؟ فَأَعْطَاهُ الشَّيْخُ كُوبًا مِنَ الْحَلِيبِ مَمْتَلَأًا حَتَّى حَافَّتِهِ، وَأَوْصَاهُ أَنْ يُوَصِّلَهُ إِلَى جِهَةٍ مَعِينَةٍ يَمُرُّ مِنْ خِلَالِهَا بِالسُّوقِ دُونَ أَنْ يَنْسَكِبَ مِنَ الْكُوبِ وَلَوْ قَطْرَةً مِنَ الْحَلِيبِ، وَاسْتَدْعَى وَاحِدًا مِنْ تُلَّابِهِ لِيُرَافِقَهُ فِي الطَّرِيقِ، وَيَضْرِبَهُ أَمَامَ كُلِّ نَاسٍ إِذَا انْسَكَبَ شَيْءٌ مِنَ الْحَلِيبِ!

وَبِالْفِعْلِ: وَاصِلُ الشَّابِّ سَيَرَهُ عِبْرَ السُّوقِ حَامِلًا كَأَسَ الْحَلِيبِ إِلَى الْوَجْهِهِ الْمَطْلُوبَةِ دُونَ أَنْ تَنْسَكِبَ أَيُّ قَطْرَةٍ مِنَ الْحَلِيبِ.

وَلَمَّا سَأَلَهُ الشَّيْخُ: كَمْ مَشْهُدًا، وَكَمْ فَتَاةً رَأَيْتَ فِي الطَّرِيقِ؟

فَأَجَابَ الشَّابُّ: شَيْخِي ... لَمْ أَرَ أَيَّ شَيْءٍ حَوْلِي، كُنْتُ خَائِفًا مِنَ الضَّرْبِ وَالْخِزْيِ أَمَامَ النَّاسِ إِذَا انْسَكَبَ مِنِّي الْحَلِيبُ!

فَقَالَ الشَّيْخُ: وَذَلِكَ هُوَ الْحَالُ مَعَ الْمُؤْمِنِ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ. الْمُؤْمِنُ يَخَافُ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِذَا ارْتَكَبَ مَعْصِيَةً، بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ يَحْمِي الْمُؤْمِنُ نَفْسَهُ مِنَ الْمَعَاصِي، فَهُوَ دَائِمٌ الْحَذَرُ مِنْهَا. □

تونس: ديمقراطية الفوضى والدماء

= توات في تونس اغتياالات لرموز سىاسية في الفترة الأخيرة، اتّخذت منها الطّبقة السّياسيّة من حكام ومعارضة ذريعة لتأجيج الصراع على السلطة، كما تبادلّت الاتهامات بشأن استغلالها.



= ثمة تواطؤ ملحوظ من القوى السّياسية في السلطة والمعارضة على توجيه الاتّهامات في تلك الاغتياالات إلى عدوّ وهميّ هو الإرهاب. مع أنّ كلّ القرائن تفصح حقيقة العدوّ الذي ساءه أن يرى المسلمين في هذا الجزء العزيز من بلاد الإسلام يثورون على النّظام العلمانيّ التابع للغرب.

= إن «الإرهاب» وهُم يُضخّمه الإعلام وتضغطُ

به المعارضة وتندزع به الحكومة للتغطية على فشلها ولتبرير فرض سيطرتها.

= أعلنت الحكومة بأنّها مستهدفة بانقلاب وأنّ الجيش قد أحبط العمليّة الانقلابيّة؟ فمن هم الانقلابيّون؟ أهم إرهابيّو الشّعائبي الأشباح؟ أم من نادى بحلّ المجلس التّأسيسيّ وبحلّ الحكومة؟ ولماذا لا تحاسبهم الحكومة؟ وممّن تخشى؟ ولماذا تصر على التوافق في خطواتها بدل الحسم؟

= إنّ التوافق فكرة أوروبية خبيثة فُرضت على الحياة السّياسيّة في تونس، يُراد من خلالها إعادة العلمانيين ورجال العهد السابق إلى الحياة السّياسية بعد أن نبذهم النّاس وأعرضوا عنهم.

= غاب عن حكام تونس الجدد أنّ الغرب يستعملهم مؤقتاً لحسن ظنّ النّاس بهم لصفّتهم الإسلاميّة ليمتصّ ثورة الشارع على العلمانيّين والنّظام العلمانيّ، وبالتالي يحرف المسلمين عن التّوجّه الصحيح نحو إقامة دولة الإسلام.

= لقد بان الفشل وظهر العجز من قبل الحكومة ذات المسحة الإسلاميّة في رعاية شؤون النّاس الرّعاية الكريمة، وراح الغرب المستعمر يدفع أبواقه وعملاءه يدعون بفرح خبيث أنّ الإسلام السّياسيّ فشل وانهار وأن لا مناص من اعتماد العلمانيّة الصّرفة في الحكم.

= إن الحكام الجدد أساءوا لأنفسهم بالتّنصّل من تحكيم شرع الله خوفاً من استعمار هزيل بدا ضعفه واشتدّت أزماته. وأساءوا إلى المسلمين بتضليلهم بأنّ لديهم بديلاً إسلاميّاً، فاستدروا عواطف الجماهير المتعطّشة إلى الإسلام وعدله وحسن رعايته، واستدروهم إلى مهادنة نظام علمانيّ متهاو.

= لقد بان مكر الغرب الاستعماريّ وحقده على الإسلام في كلّ عصر، ولقد رأى الجميع ما فعله مؤخّراً في مصر، فالمستعمر منذ أن أسقط دولة الخلافة ومزّق الأمّة، وهو لا يطيق سماع اسم الإسلام ولا يطيق أثراً من آثاره، فلماذا يصّر البعض على السير في ركابه رغم كلّ هذا، غباء أم عمالة؟!

= على الحكام الجدد أن يرفعوا عن غيهم، وأن يسارعوا إلى محاسبة الفاسدين، وأن يقطعوا يد المستعمر العابثة بتونس وأمنها، وأن يفكّكوا خلايا الاستخبارات الأجنبية ويسترجعوا ثروات البلاد التي تنهبها الشركات الاستعماريّة، بخاصّة الشركات البريطانيّة («بريتش غاز» و«بتروفاك») التي تستأثر بأهمّ ثروات البلد من دون أبنائه الذين ينهبهم الفقر والبطالة □

إضاءات مختصرة من بيان حزب التحرير ولاية تونس حول الاغتياالات الأخيرة ٢٠١٣/٨/٦

معالم هيمنة واشنطن على جيش مصر

- يُعتبر الجيش المصري الركيزة الأساسية للدولة في مصر، لذلك عملت واشنطن على اختراقه ومن ثم تدبير واحتضان انقلاب الضباط الأحرار على الملك فاروق ونظام حكمه المرتبط ببريطانيا في يوليو ١٩٥٢م في سياق الصراع بين الاستعمار الجديد والقديم على المنطقة.

- نجحت واشنطن منذ عقد اتفاقية كامب ديفيد في عام ١٩٧٨م بإحكام قبضتها على الجيش المصري، بعد أن ربطته بها تمويلاً وتسليحاً وتدريباً،



مما مكنها من إعادة تشكيله من جديد، فأدخلت تغييرات جوهرية على هويته وبنيته وعقيدته، حيث عزلت مصر عن الصراع «العربي الإسرائيلي» وأسقطت (إسرائيل) من لائحة الأعداء، واستبدلتها بعداء مفرط لتيار الإسلام السياسي بذريعة محاربة التطرف والإرهاب.

وزير الدفاع الأميركي تشاك هيغل في مهمة رسمية من واشنطن لمتابعة وضع الجيش في مصر - تواصل مستمر مع السيسي

- يتم دعم المؤسسة العسكرية المصرية من خلال مساعدات عسكرية أميركية

سنوية بقيمة ١,٣ مليار دولار. وقد تلقت مصر منذ اتفاقية كامب ديفيد نحو ٦٨ مليار دولار من المساعدات الأميركية بلغت الحصة العسكرية منها نحو ٤٠ مليار دولار، مما جعل مصر ثاني أكبر متلق لمساعدات من هذا القبيل بعد (إسرائيل). وتشترط الولايات المتحدة على مصر أن تنفق الأموال الأميركية على معدات وخدمات أميركية، ما يضمن لها استمرار مراقبتها للجيش وضبط تركيبته بحسب ما يناسبها.

- يعتمد الجيش إجراءات لحماية استقلاليته التامة عن بقية مؤسسات الدولة، سواء الحكومية أم غيرها، ما يمنع تأثيره بالأجندات السياسية الخارجية عما ترسمه واشنطن له، حيث يتمتع الجيش بامتيازات ما يسمى بالاقتصاد المغلق، المعفى من الضرائب، ويتملك الأراضي العامة بشروط ملائمة له، ولا يكشف شيئاً عن ميزانيته وقويله في البرلمان أو إلى الرأي العام. كما أكدت نصوص الدستور المصري، الذي أشرفت على وضعه حكومة مرسي، على منح الجيش المصري ما يوصف بـ«حكم ذاتي» فلا أحد يتدخل في ميزانياته التي تشكل أكثر من ثلث الاقتصاد المصري.

- لطالما أولت واشنطن اهتماماً كبيراً بدوام التواصل مع قادة الجيش، وتميزت بمتابعة دقيقة لشؤونه، وقد عهدت عقب الانقلاب الأخير الذي أطاح بالرئيس الإخواني، محمد مرسي، إلى وزير الدفاع الأميركي تشاك هيغل، بأن يكون قناة الاتصال الرئيسية مع قيادات الجيش المصري، الذي يرأسه الفريق عبد الفتاح السيسي، والذي يمسك حالياً بزمام الأمور الفعلية في مصر.

بهذا نجد أنه من غير إعادة صياغة عقيدة الجيش المصري وهويته وولائه، وتشكيلها بحسب مفاهيم الإسلام وأحكامه، ستبقى مصر خاضعة للنفوذ والهيمنة الأجنبية، وسيبقى الجيش المصري مطرقة بيد الغرب يضرب فيها كل من يتصدى لمشاريعه الاستعمارية □